# بيت مسكون بالأشباح
# وأوهام الشعوب

إعداد

محمد عبد الفتاح صادق

الكتاب: بيت مسكون بالأشباح وأوهام الشعوب

الكاتب: محمد عبد الفتاح صادق

الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

**All rights reserved**. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

**جميع الحقوق محفوظة**: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

صادق، عبد الفتاح ، محمد

بيت مسكون بالأشباح وأوهام الشعوب / محمد عبد الفتاح صادق

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٦٠ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٨ – ٨٧٣ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان          رقم الإيداع : ٢١٦١٠ / ٢٠١٨

# بيت مسكون بالأشباح
# وأوهام الشعوب

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

# إهداء

إلى زوجتي ..

**نعمة الله التي منحها لي ، فهي سبب من أسباب نجاحي**

**المؤلف**

# مقدمة

"بيت مسكون بالأشباح، وأوهام الشعوب" كتاب طريف في بابه وفي موضوعه، ولكنه ليس "خفيفا"، تأتي الطرافة من حيث نوعية موضوعاته التي يقبل القراء عبر العالم على متابعتها، مهما اختلفت أعمارهم أو ثقافاتهم أو بيئاتهم الاجتماعية، فموضوعاته عن السحر والأشباح وعادات الحب والزواج عند الشعوب، وعبادة الحيوان والتطير (التفاؤل والتشاؤم)، وغير ذلك من موضوعات تثير شهية القارىء، هذا من حيث تأكيد الطرافة، أما عن نفي الاستخفاف عنها، فيرجع لكون معالجة الكاتب لتلك الموضوعات لم تتسم بالاستعجال رغم القصر النسبي لعدد الصفحات المخصصة لكل موضوع، ولم تكن مجرد تجميع من الكتب والمواقع لطرائف، بل ثمة منهج رغم بساطته إلا أنه يؤطر محتويات الكتاب وينتظمها ويربط بينها. مما يمنح القارىء فائدة تتمثل في معلومات متنوعة تزيد معرفته بالعالم وشعوبه وأساطيرها وأوهامها، فضلا عن المتعة والتسلية. وتدور موضوعات الكتاب – وكما يشير العنوان – حول محورين رئيسين: هما الأشباح والأساطير، وعادات وتقاليد الشعوب.

## أشباح حول العالم

المحور الأول، وفصوله عن الأشباح والسحر وما تستدعيه من خرافات وخوارق فيقترب الكتاب من مجال "الباراسيكولوجي" الذي يبحث علم الخوارق، وهو يحاول الإجابة بشكل علمي عن الأسئلة الحائرة

حول المس الشيطاني والمعروف بمس الجن الذى يشمل دراسة القدرات غير المألوفة التى يحوزها بعض الأشخاص كما يهتم بتفسير الإدراك بدون استعمال الحواس الخمس، لكن الكتاب لا يعالج ذلك بشكل علمي جاف ينفر القارىء الهاوي أو الباحث عن المتعة والمعرفة دون إرهاق كبير لعقله بالتفكير، كما في فصول: "بيت مسكون بالأشباح"، "بحيرات تسكنها العفاريت"، "الأطباء السحرة، والسحرة الأطباء"..

ومن المعروف أن كل بلاد العالم تضم أماكن تطاردها لعنة الأشباح فيهرب منها البشر أو لا يقتربون منها إلا مضطرين وبحذر، فمثلا في مصر "قصر البارون أمبان" بضاحية مصر الجديدة بالقاهرة، نجد أن معظم الأقاويل التي جعلت "قصر البارون" بيتا حقيقيا للرعب تدور حول سماع أصوات لنقل أثاث القصر بين حجراته المختلفة في منتصف الليل، والأضواء التي تضيء فجأة في الساحة الخلفية للقصر وتنطفئ فجأة أيضا، أيضا يشاهد العديد من المارة دخانا ينبعث من غرف القصر الرئيسية بعدها ظهر وهج نيران ما يلبث أن ينطفىء وحده كما اشتعل وحده، ودون أن يعمل على إطفائه أحد.

أيضا في دمشق وفي حي "الجسر الأبيض" منزل مهجور منذ ثلاثين عاما لنفس الأسباب التي تقال عن قصر البارون، من حيث الأصوات الغريبة التي تخرج من المنزل، أو المستأجرين الذين يتعرّضون للضرب من أشخاص لا يرونهم، أو الأبواب التي تفتح بعنف وصخب من تلقاء

نفسها، جميعها أحداث يدحضها الجيران في المبنى، لكنها لا تزال تتردد ليبقى المنزل مهجورا.

يبدأ الكتاب بفصل عن بيت يشبههما، ليس في عاصمة عربية هذه المرة بل في لندن، البيت يملكه سير إنجليزي وبدأت شهرته كبيت مسكون بالأشباح منذ تلك الليلة التي أقام فيها السير "موريس" وزوجته حفلة في مزرعتهما احتفالاً بولدهما ووارثهما الوحيد، وكان من بين المدعوين الآنسة "نيلي مونتاج" وهى عرافة ذائعة الصيت في المجتمعات الإنجليزية، وهي التي اكتشفت أن البيت تسكنه الأشباح

وقد تعدى وصم الأماكن بأنها مقر للأشباح البيوت إلى البحيرات، فمثلا في ويلز توجد بحيرة غامضة اشتهرت بين الناس بإيحائها إلى الانتحار فما يجلس عندها أحد إلا تنازعته فكرة التخلص من حياته فإن لم يسرع بالهرب وجد نفسه يطوح بجسمه إليها، وقد حدث منذ عهد قريب أن ذهب أحد علماء النفس المعروفين إلى هذه البحيرة لدراسة التطورات النفسية التي تتصل بها وختم أبحاثه بأن انتحر هو نفسه في مياهها..

وتوجد بالقرب من نورثمبتون بحيرة أخرى معروفة بالإيحاء الانتحاري فما يمضي عام إلا وقعت فيها عدة حوادث من الانتحار. وتمتاز هذه البحيرة العجيبة بأن بقعة معينة من سطحها لا تتأثر بتقلبات الجو إذ تظل هذه البقعة متثلجة مهما بلغت حرارة الجو ومهما بلغت سخونة باقي المياه المجاورة لها. وبالقرب من نانتل بويلز توجد بحيرة معروفة بسمعتها السيئة ويقال أن صرخات خفية وعويلا غامضاً يتصاعد من أعماقها قبل وقوع

الحوادث إنذاراً بها. وفي ويلز بحيرة يعرفها الناس باسم "بحيرة العربة والأربعة" وترجع هذه التسمية إلى عربة انقلبت فيها بركابها الأربعة منذ بضع سنوات وغرقوا جميعاً، ويروي أهالي هذه الجهات أن البحيرة سكنت بالعفاريت عقب هذا الحادث إذ يسمع الناس صراخاً صادراً عنها في جوف الليل.

أما المحور الثاني: وفصوله عن غرائب العادات والتقاليد وعن الحب والزواج لدى شعوب العالم، وهو ما يقربه من دائرة الأنثروبولوجيا، وهي العلم الذي يدرس البشر في جميع أنحاء العالم، وتاريخهم التطوري، وسلوكهم، وكيفية تكيفهم مع البيئات المختلفة وتواصلهم واختلاطهم معا، وهي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان شمولية، تتقاطع مع كثير من العلوم الأخرى، منها الأحياء والتاريخ والاجتماع والأدب والفلسفة، لها اليوم فروع وتخصصات عدة شديدة الثراء، فيها ما يتطلب بحوثا ميدانية، ومنها ما يتطلب جهودا تحليلية، ومنها ما يتطلب أبحاثا معملية.

وهي بحسب عبارة للأنثروبولوجي الشهير إريك ولف: "ليست مجالا بحثيا بقدر ما هي ارتباط بين عدد من المجالات. إنها تاريخ من جهة، وأدب من جهة أخرى. إنها علم طبيعي من جهة، وعلم اجتماعي من جهة أخرى. تهدف الأنثروبولوجيا إلى دراسة الإنسان من الداخل والخارج، وتعد طريقة للنظر إلى الإنسان وطريقة للتنبوء بمستقبله في آن واحد. الأنثروبولوجيا أشد العلوم الإنسانية طبيعة علمية، وأشد العلوم الطبيعية إنسانية".

وفي الكتاب نجد فصولا تتماس مع الأنثروبولوجيا بهذا المفهوم دون أن تشد القارىء لمصطلحات صعبة ومفاهيم علمية تعوق تواصله، ومن هذه الفصول:

- حفلات الزواج عند بعض الأمم
- شهر العسل عند شعوب العالم
- عادات الزواج عند الغجر
- العمل المجاني بديلاً عن المهر
- شعوب العالم.. كيف تتزوج؟
- غرائب العادات.. الزوج وحماته

وفيها يطوف الكاتب بقارىء كتابه في جولة عبر العالم ليطلعه على عادات الزواج وكيف تختلف باختلاف ثقافات الشعوب، فمثلا من عادة معظم الأمم أن يكون للعروس المكان الأول ليلة زفافها فهي في هذه الليلة محط أنظار الجميع إلا أن بعض البلاد تشذ على هذه القاعدة فلا تظهر العروس حتى لو كانت تحتل مركزاً رفيعاً في الحياة الاجتماعية. وعادة حجب العروس لا تقتصر على البلاد المتأخرة بل تتعداها إلى بعض البلاد المتمدينة فما زالت بلاد الشرق تعمل حساباً للاعتقاد القديم بأن الزوجة يجب أن تختفي عن الزوج، ولقد تمادى في تطبيق هذا الاعتقاد بعض قبائل إفريقيا والهند. ومن عادة بريطانيا الجديدة أن تبقى العروس بعيدة عن نظر زوجها مدة خمسة أيام وهي في بيته، وهناك قبائل من البدو تتعاون على

خطف العروس ومساعدتها على الهرب والاختفاء بين التلال، ويحدث ذلك في الليلة السابقة ليوم الزفاف. وفي الصباح يأخذ الزوج في البحث عن عروسه حتى يعثر عليها وعندئذ يبقى معها بين التلال يمضيان بقية يومهما.

ولعل عادة شهر العسل والرحلة فيه أن تكون أثراً لهذه العادة القديمة، وأغلب الناس لا يعلمون السر وراء هذه التسمية، فهي ترجع إلى التيوتون الأقدمين، وكانوا يقصدون منها هذه الفترة التي تبلغ أربعين يوماً بعد الزواج، والتي كان الزوجان ينهلان فيها من "شراب العسل".

وعن خوف الزوج أو الزوجة من الحماة فيرجعه الكتاب إلى موروثات قديمة يشير إلى بعضها ومنها، مثلا في قبيلة "الزولو" أن الرجل الذي يخاطب حماته يجب أن يقف على مسافة بعيدة، وعليه أن لا ينطق باسمها، لأن مثل هذه الألفة تستتبع شيئاً من السلطان عليها، وفي أغلب الأحيان لا يتصل معها في الحديث إلا عن طريق شخص ثالث، وإذا حدث أن التقى الزوج بحماته مصادفة فإنه يظهر وكأنه لا يعرفها، وفي أمثال "الزولو" الشائعة أن الزوج لا يجب أن ينظر إلى وجه حماته بدعوى أن "الرجل لا يجب عليه أن يرفع بصره إلى وجه المرأة التي أرضع ثدياها زوجته".

ولقد وضع أغلب شعوب أستراليا البدائية وميلانيزيا وبولينزيا قوانين تحدد الصلة بالحموات؛ وعند بعض هذه الشعوب إذا قابل الرجل حماته بصق على الأرض، لكي يصرف جميع التأثيرات الشريرة الناشئة عن هذه المقابلة، وفي منطقة أعالي النيل لا يكلم الزوج حماته إلا إذا فصل بينهما جدار.

أما الطلاق هو انحلال عقدة الزواج وأكثر بلاد العالم زواجاً وطلاقاً هي الحبشة، فأي سبب يصلح للطلاق وعندئذ يلحق الأبناء الذكور بأمهم، والبنات بأبيهم. أما في جزر الوشيان فإذا سئم الزوج زوجته استبدل بها بعض الملابس. وبعض قبائل الهند لا تسمح مطلقاً بانفصال الرجل عن امرأته إذا كان لهما أطفال، وبعض القبائل الأخرى تحرم الطلاق أصلاً.

هذا ويلتقي المحوران معا في عدد من الفصول يتماس فيها الباراسيكولوجي مع الأنثروبولوجيا ومنها:

- الحيوانات المقدسة – عبادة الحيوانات في هذا العصر
- فتاة وقرد يتبادلان الغرام ويعيشان في الغابات
- دفن الأحياء– حل الغاز فقراء الهند
- فقراء الهند حلوي الثعابين
- التشاؤم والتفاؤل .. عند الفرنسيين والانجليز

## القرين

لم تقتصر عبادة الحيوان أو تقديسه على المجتمعات القديمة والبدائية بل مازالت لها آثار حتى اليوم في بعض المناطق من العالم، ويقدس الهنود كل أنواع الحيوان لأنهم يعتقدون أن أرواح أسلافهم تتناسخ في هذه الحيوانات من عهد إلى آخر.

ولا تزال البقايا من سكان أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية الأصليين يعبدون الحيوانات كما كان أسلافهم في الأزمنة الغابرة يفعلون، وذلك لأنهم يعتقدون أن أنواع الحيوانات كالغزال والطيور والسمك والدجاج إلى آخره لكل نوع منها زعيم هو الغزال الأعظم والطائر الأعظم والديك الأعظم وهكذا

وإن هذا الزعيم هو الذي يأمر رعاياه أي أفراد نوعه بأن تكون غذاء للإنسان، ولذلك يلزم أن يبجل، أما قبل أن تذبح أفراد رعيته أو بعد الذبح؛ فإذا أرادت قبائل الزوني في المكسيك ذبح غزال أتى بالغزال الأعظم ليباركه بغمس فمه في دم الغزال المذبوح. وإن ذلك ليرينا لماذا نشأت عبادة الحيوانات فإنه كان يعتقد أن لكل نوع من الحيوانات إلهاً فإذالم يرضه الإنسان بالعبادة غضب عليه وحرمه من التغذي بأفراد نوعه.

ويعتقد بعض سكان المكسيك وأمريكا الوسطى أن لكل إنسان قريناً من أنواع الحيوان وهذا القرين هو الذي يقيه من الشر في هذا العالم. ويجلب له كل الخير. ولا ريب في أن هذا الشعور هو الذي حصل عند الإنسان الأول حينما تم له الفوز في استئناس بعض الحيوانات فإنه كان يراها تدفع عنه الضر والنصب، وتجلب له السعادة والنفع ولما لم يكن له من وسيلة لدفع شرها واستدار خيرها إلا العبادة أقام منها الآلهة وهذا هو شأنه في تقدير ما يخاف نقمته أو يرجو نفعه.

## التطير

أما بخصوص التفاؤل والتشاؤم وهو سلوك تعرفه كل الشعوب قديما وحديثا حيث تعتبر قضية التفاؤل والتشاؤم من القضايا المنطبعة في أذهان البشر في كافة بقاع الأرض، ولكن من المهم التفرقة بين التشاؤم والتفاؤل من أمور وأشياء بعينها، وأن يكون سمة التفكير السائدة الخاصة بنمط معين من البشر.

وهناك من يتشائم لرؤية شخص معين مشهور بعينه الشريرة، أو حقده، أو يتفاءلون بممارسة نشاط معين أو رؤية أشخاص أو أشياء بعينها. واختلفت الشعوب فى تفاؤلها برموز أو أرقام أو ألوان بعينها، وتشاؤمها من أخرى، فمثلا: كثير من البشر يعتقدون أن لبعض الأعداد دورا في حياتهم فمنها ما يجلب الضرر ومنها ما يجلب الخير ويضرب المثل بالعدد ١٣ في النحس؛ فهو من أكثر أرقام النحس حول العالم شهرة ولا أحد يعلم سبب هذا الاعتقاد ولكن البعض يرى أنه تبلور من حادثة (العشاء الأخير) حيث تناول المسيح طعام العشاء مع ١٢ من تلاميذه ليصل العدد إلى ١٣ فردا، ويقال إن (الثالث عشر) وهو يهوذا الأسخريوطي باع نفسه للشيطان. والعجيب فى الأمر أن هذا الاعتقاد مازال يؤثر على قطاعات اقتصادية واجتماعية كبيرة فى الغرب؛ فهنالك شركات طيران تلغي الترقيم الثالث عشر من مقاعدها ومكاتبها وصفوف الانتظار.

وبخصوص الطيور في الموروث الشعبى فمثلا ثمة تشاؤم من الغراب فإذا مر غراب فوق رأس المسافرين اعتبروا ذلك نذير شؤم يؤذن بطول

فراقهم لأحبابهم، وقديما في فرنسا كانوا إذا صادف أحدهم في صباحه غرابا قادما من ناحية اليسار عاد ولزم بيته يوما كاملا، وإذا حلق سرب من ثلاثة غربان في حقل، عدوا ذلك إعلانا عن قرب موت صاحبه، أيضاً في السودان تعتبر البومة هي دليل شؤم ويسمى طائر الشؤم.

وهناك عوامل مختلفة مؤثرة تساهم في التفاؤل والتشاؤم، فالتفاؤل والتشاؤم له علاقة بطبيعة كل مجتمع وبطبيعة عاداته وتقاليده وإن التفاؤل له علاقة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع هناك مجموعة من العوامل البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لها أثر كبير في ثنائية التفاؤل/ التشاؤم.

**المؤلف**

# بيت مسكون بالأشباح

أقام السير "موريس" وزوجته حفلة شائقة في مزرعتهما احتفالاً بولدهما ووارثهما الوحيد، فكنت ترى السيارات تتتابع واحدة في إثر الأخرى والطرقات تموج بالقادمين من البلاد المجاورة والقصر يتلألأ في أنواره كالشعلة. وكان بين من دعي إلى هذه الحفلة مستر "إيوان" وابنة عمه الآنسة "نيلي مونتاج" وهي عرافة ذائعة الصيت في المجتمعات الإنجليزية؛ فلما وصلت الآنسة "نيلي" إلى القصر وأخذت الخادمة تساعدها في تغيير ملابسها دار بينهما حديث نلخصه فيما يلي: قالت الخادمة: "إن لهذا القصر جواً موحشاً.! وكم بين لندن وهذا المكان من تباين.!" ثم مالت إلى الآنسة "نيلي" العرافة وهمست بصوت خافت: "أما سبق لك ارتياد منازل تسكنها العفاريت؟"، وتطلعت "نيلي" إلى الخادمة فوجدتها ترتعد بشكل عصبي واضح فسألتها قائلة: "هل القصر مسكون.؟ إنني أجهل ذلك!" فامتقع وجه الخادمة ولم تجب ولكنها عادت تقول: "ما أفظع هذا الأمر يا سيدتي! حال لا تطاق! إن السير "موريس" يأبى أن يصدق ما ينتقل إليه ولكن الليدي زوجته ترتعب لذكر الأشباح منذ قتل كلبها "توزر" في الغرفة المسكونة بفعل يد خفية". وتحرك فضول الآنسة "نيلي" فسألتها أن تقص عليها حكاية هذا الكلب فأجابتها الخادمة إلى سؤالها بعد تردد ما: "أخشى أن يسوء السير "موريس" أن أفشي أمثال هذه الحكايات إلى مدعويه.. ومع ذلك فلن أبخل عليك بها فهذه أشياء يتنادر بها الخدم ولا سبيل إلى كتمانه".

ومضت الفتاة تقص على السيدة حديث الكلب فقالت: "إن القاعة المسكونة واقعة في الجناح الثاني وإنها موصدة بالقفل منذ أعوام طويلة حين كان الجد على قيد الحياة، إذ عرف أن من ينام فيها لا بد أن تغتاله يد خفية قبل أن تشرق عليه أنوار الصباح". فلما قضى الجد نحبه هزأ رب القصر الحالي السير "موريس" من هذه الأوهام وأمر بتنظيف الغرفة المهجورة وإعدادها، وفي اليوم التالي دخل الخدم إلى الغرفة لإتمام مهمتهم فراعهم أن يروا "توزر" كلب الليدي "مالتن" مقتولاً في الغرفة وعلى جبهته بقعة دموية ظاهرة؛ فكان واضحاً أن الخدم نسوا الكلب في الغرفة وأوصدوا عليه الباب فلما هبط الليل قتلته الأشباح.

وتمضي الخادمة في قصتها إذ لمحت السير "موريس" مقبلاً فتوسلت إلى الآنسة "نيلي" ألا تخبره بشيء من حديثها، وقد وعدتها هذه بالكتمان. ودنا السير "موريس" من ضيفته وقادها إلى المرقص حيث لحقت بابن عمها مستر "إيوان". وأشار ابن عمها إلى أحد الرجال منادياً: "هالو.! هوارد .! من أين أقبلت؟".. وقدم إيوان صديقه إلى ابنة عمه قائلاً: "الكابتن "بين هوارد".. رفيقي في الجندية". فتحول الضابط إلى الآنسة "نيلي" قائلاً: "سعيد أن ألقاك يا سيدتي؛ فصيتك ذائع في كل مكان والناس متفقون على أن الآنسة "نيلي" أقدر عرافة ظهرت في المجتمعات الإنجليزية". ثم صمت قليلاً وأردف يقول: "لا شك أنك تعلمين كل ما يتصل بالأشباح! فهذا أساس مهنتك على ما أعتقد، وبهذه المناسبة أقول لكما أنني سوف أطلب من السر "موريس" أن يأذن لي بالمبيت في الغرفة المسكونة". فصاح به "إيوان" محذرا: "لا تكن مجنوناً يا صاح! فليس ما يدعوك إلى العبث

بالنار".. فضحك "هوارد" بكل بساطة وانطلق برفقة الآنسة "نيلي" إلى شرفة الردهة ليطلعها على مخاطراته: "لن أعلم أحداً بما أنتوي فسوف أحمل فراشي بنفسي إلى الغرفة حتى لا يثير عملي قيلاً وقالاً، وأعتقد أنني سوف أثبت لكم في الصباح أن لا شيء مما يزعمون موجود بالغرفة".

ورأى الكاتب مضيفه مع بعض المدعوين فطلب إليه أن يختلي به لحظة، فأطلعه على نيته وألح على السير "موريس" أن يأذن له بما يريد. وأبى رب القصر أن يجيبه إلى طلبه ولكنه أذعن أخيراً إزاء إصرار الكابتن، وجلب إليه مفتاح الغرفة ورجاه أن يكتم المسألة عن زوجته الليدي مالتون. وبعد ساعتين كان الكابتن هوارد قد نقل فراشه خلسة إلى الغرفة المسكونة بعد أن أوصى "إيوان" ألا يوقظه قبل الساعة العاشرة صباحاً مؤكداً له أنه سوف لا يوصد باب الغرفة بالمفتاح على أن "إيوان" كان منزعج الخاطر قلق النفس على صديقه. وفي الصباح استيقظ المدعوون في ميعاد مناسب وارتدوا ملابسهم ونزلوا إلى قاعة الطعام لتناول الفطور وكانت الساعة عندئذ قبيل العاشرة بربع ساعة. وكان السير "موريس" جالساً إلى المائدة تنم ملامحه عن الاضطراب وعيناه معلقتان بعقربي الساعة يرقب سيرها البطيء! وبعد لحظة أقبل "إيوان" برفقة الليدي "مالتون" فدار بعينيه بين المدعون باحثاً عن صديقه فلما لم يجده سأل ابنة عمه قائلاً: "ألم يحضر الكابتن "هوارد" بعد ؟".. وسمع السير "موريس" قوله فأجاب بصوت مبحوح: "أظنه قال: إنه لن يلحق بنا إلا في الساعة العاشرة". ثم أشار السير "موريس" إلى أحد الخدم وأسر إليه شيئاً وبعد قليل رجع الخادم وهمس شيئاً ما في أذن مولاه فسأله هذا: "ألم تقرع الباب بصوت عال؟"..

"نعم قرعته بعنف يا سيدي ! إن الباب موصد!" فلما سمع "إيوان" عبارة "أن الباب موصد" بادر بالصعود إلى غرفة الكابتن وامتقع وجه الليدي "مالتون" لأنها توقعت شراً لا تدري مصدره، إذ كانت تجهل أن الكابتن بات ليلته في غرفة الأشباح فالتفتت إلى مدعويها قائلة: "لقد سمعت الأشباح تولول هذه الليلة". وعقب السر "موريس" على كلامها بقوله: "أرجو أن يحتاط كل منكم عند إطلاق الرصاص اليوم في حفلة الصيد لأن ولولة الأشباح نذير بشر ما". وضحك السير "موريس" ضحكة مغتصبة ينم رنينها الأجوف عن كارثة يتوقعها وأردف موجهاً الخطاب إلى زوجته: "أخالك أسرفت في احتساء الشمبانيا بالأمس أيتها العزيزة!"، وإن هي إلا لحظة حتى بدا "إيوان" على عتبة الباب وصاح بالسر "موريس" ووجهه شاحب كالأموات: "أرجوك يا سيدي عجل بتحطيم الباب!"

وملك الذعر المدعوين وتراكضوا إلى غرفة الأشباح وأعملوا فيها المعاول حتى حطموا بابها ولكنهم ارتدوا على الأعقاب إذ وقع بصرهم على مشهد مرعب تخاذلت له الأوصال.. كان الكابتن "هوارد" جالساً على كرسي مستطيل وعيناه مسمرتان إلى مرآة معلقة على الحائط وعلى جبينه بقعة من الدماء، نادوه عبثاً وهزوه ولكنه كان جثة هامدة، وهتف هاتف من القوم: "لقد مات!" ووجم الجمع وعقدت الألسنة وسرت رعدة في الأعصاب وتلفت كل حاضر حوله خشية أن تهبط علهم الأشباح من حيث لا يعلمون. مات الكابتن "هوارد" وقد اغتالته يد خفية وشبح شرير على أنهم لم يجدوا بجسمه أي رضوض أو جروح غير حز أحمر اللون حول رقبته، أما بقعة الدماء على جبينه فلم تكن ناشئة عن جروح وإنما كانت

سمة طبعها الشبح على جبهة القتيل عنواناً للموت. وعقب هذا الحادث أمر السير "موريس" هدم الجناح الذي يضم قاعة الأشباح، وفي أثناء الهدم اكتشف العمال أن القاعة تتصل بسرداب خفي ينتهي في كهف بالجبل ولوحظت بالسرداب آثار أقدام حديثة العهد كما شوهدت بقايا سجائر وكبريت وكما وجدت سكين أيضاً ذات نصلين وخيط متين. وذكر العارفون أن هذا السرداب كان ممراً خفياً يلجأ إليه المهربون.

وتساءل الناس عما إذا كان في مبيت أحد بالقاعة ما يفسد على بعض مرتاديها الغامضين أغراضهم، وهل هناك من يعنيه أن تظل القاعة مهجورة لينتفع بها على نحو خاص؟ على أن واحداً من الناس لم يستطع أن يكشف السر في مصرع الكابتن "هوارد" ذلك الجريء الذي ذهب ضحية سخره بالأشباح.

# بحيرات تسكنها العفاريت

تجد أحياناً أن الناس يتحامون السكنى ببعض المنازل زاعمين أنها معمورة بالعفاريت، ونحن كأبناء القرن العشرين جديرون بأن ننتزع من أذهاننا هذه الخرافات بيد أننا لا نستطيع ولو جهدنا – في هذا القرن علي الأقل – لأن الخرافات على ما يلوح أمر يتصل بضعف إنساني كمين في النفس. ومهما بلغ من ثقافة أحدنا فإنه لا يملك نفسه من الإيمان بالخرافة لأنها تثير الغرابة والاهتمام وتحدث في الأعصاب تنبيها وتخديراً، ولعل هذا هو السر في غرامنا بالخرافة رغم تهذيبنا. وإذا تركنا جانبا ما يقال من أن العفاريت أوهام كاذبة فإننا لا نستطيع أن ننكر على بعض الناس فضيلة الصدق حين يحدثوننا بأنهم رأوا بأعينهم العفريت أو بأنهم سكنوا في منزل صار عفريته يحدث ضجة كل ليلة أو يجمع الأحذية ويضرب بها على الأبواب.. الخ

ولقد تحدث أحياناً أموراً غريبة لا نجد لها تعليلا إلا أن ننسبها إلي العفاريت كأنما العفاريت مخلوقة في هذه الدنيا لكي تنقذنا من انفضاح جهلنا! فمن ذلك أن في مقاطعة ويلز بإنجلترا بحيرة غامضة تقوم على جانب منعزل من الطريق، وقد اشتهرت بين الناس بإيحائها إلى الانتحار فما يجلس عندها أحد إلا تنازعته فكرة التخلص من حياته فإن لم يسرع بالهرب وجد نفسه يطوح بجسمه إليها، وقد حدث منذ عهد قريب أن ذهب أحد علماء النفس المعروفين إلى هذه البحيرة لدراسة التطورات

النفسية التي تتصل بها، وختم المحقق الفاضل أبحاثه بأن انتحر هو نفسه في مياهها! وتوجد بالقرب من نورثمبتون بحيرة أخرى معروفة بالإيحاء الانتحاري فما يمضي عام إلا وقعت فيها عدة حوادث من الانتحار، وتمتاز هذه البحيرة العجيبة بأن بقعة معينة من سطحها لا تتأثر بتقلبات الجو إذ تظل هذه البقعة متثلجة مهما بلغت حرارة الجو ومهما بلغت سخونة باقي المياه المجاورة لها.

وبالقرب من نانتل بويلز توجد بحيرة معروفة بسمعتها السيئة ويقال أن صرخات خفية وعويلا غامضاً يتصاعد من أعماقها قبل وقوع الحوادث إنذاراً بها، وفي ويلز بحيرة يعرفها الناس باسم "بحيرة العربة والأربعة" وترجع هذه التسمية إلى عربة انقلبت فيها براكبيها الأربعة منذ بضع سنوات وغرقوا جميعاً، ويروي أهالي هذه الجهات أن البحيرة سكنت بالعفاريت عقب هذا الحادث إذ يسمع الناس صراخاً صادراً عنها في جوف الليل. ولقد يحدث أحياناً أن يرى الناس مركبة تتجه صوب المياه ووجوه راكبها ملتصقة بالزجاج يشيع فيها الألم حتى إذا صارت على حافته سقطت المركبة في الماء وتعالى البكاء وصراخ الاستنجاد.

وفي أيرلندا جبل يسمى "كروباتريك" تقوم في سفحه بحيرة منعزلة يعتقد الناس أنها مسكونة بعفريت ذي قوي شريرة يجب إنزال الأذى بالناس في صورة الانتقام، ولذلك كانت تحج إليها الناس من كل البلاد وتجثو على شاطئها ضارعة إلى ساكنها العفريت الجبار أن ينتقم من أعدائهم. وفي اسكتلندا بحيرة يزعم الناس هناك أنها توحي لمن يرتادها

بفكرة ارتكاب جرم ما، فما يغشاها أحد بعد هبوط المساء إلا بثت في نفسه حب القتل. بالطبع كل ذلك لا يخرج عن كونه مجرد خرافات ولكن من يروونها ويقتنعون بها يسوقون الوقائع تلو الوقائع للاستشهاد على صحة ما يعتقدون، وتلك أوهام مشتركة بين كل البشر.

## الأطباء السحرة .. والسحرة الأطباء

"وقعت أخيراً جناية قتل في يورك كونني من أعمال بنسلفانيا "الولايات المتحدة" وكان للسحر دخل عظيم فيها، فأثارت القضية عاصفة شديدة حول السحر والشعوذة والحسد وما إلى ذلك مما يدخل في أعمال الدجالين والسحرة، وجعلت الناس "يبحثون في مصدر الخرافات التي سادت العقول في بلاد بها الجامعات والعلماء ورجال الدين"

من الحقائق الغريبة التي يقع عليها من يحاول البحث في موضوع السحر وما يدخل في بابه، أنه سواء أدرس سحر زنوج إفريقيا، أم أهالي كريبان أم سكان غينا، أم هنود الشمناس بسيريا أو فلاحي القرى الأوروبية السحيقة، أو سحر قبائل الهند الشرقية، أو مزارعي بنسلفانيا الألمانيين، أو عباد الشيطان بهضبة التبت، فإنه يرى أسس السحر واحدة، وطقوسه متماثلة فكأن شيطاناً رجيما جمع كل أولئك الخلق المبعثرين هنا وهناك وألقى عليهم في وقت واحد دروساً في السحر والشعوذة، ثم قال لهم: "انتشروا في الأرض واخدعوا الناس بخزعبلاتكم وترهاتكم وادعوا أنكم أطباء مبرة!"

ومن الوسائل التي يعمد إليها الساحر إذا طلب إليه أن يجلب الأذى إلى شخص معين: أن يأخذ قطعة من الطين أو الصلصال أو الشمع ويصورها في صورة الرجل ثم يحرقها أو يخرق عينيها بدبوس أو يذيب أطرافها على النار، ومن الغريب أن تلك الحيلة موجودة بين كافة طبقات

السحرة سواء أكانوا في أوروبا أم في مجاهل آسيا. ويقول المشعوذون أن الضرر الذي يقع على عضو معين من التمثال يقع مثله تماما على عضو الرجل الذي أريد به السوء، وكان السحرة في عصر الفراعنة يصنعون تلك الصور إذا أرادوا الكيد برجل. ويقول علماء الهيروغليفية أن هناك ما يثبت أن رجلا اسمه "هوى" (Hue) كان موظفاً في بلاط "رمسيس الثالث" عكف على دراسة فنون السحر والشعوذة وصار يأتي بأعمال أدهشت المصريين، وكان ذلك قبل مولد المسيح بنحو ١٢٠٠ سنة، وورد في ورقة بردي تعرف الآن باسم "وستكار"، وهي قديمة جداً (كتبت قبل ميلاد المسيح بـ٣٨٠٠) أن ساحرا بعث الحياة في تمساح صنعه من الشمع وكلفه بنهش حبيب زوجته الغادرة..

وغرب إفريقيا، وهو الذي سمي بحق مقبرة الرجل الأبيض الحصن الحصين للفودو (والفودو كلمة تطلق في جنوب الولايات المتحدة علي كل من يباشر السحر، وخاصة إذا استعان بالطقوس الخرافية التي يعتمد إليها الساحرون الزنوج في غرب إفريقيا) ومن هناك ترامت موجته وطغت على حدود الحضارة الغربية، وامتدت إلى الهند الغربية، فشمال أمريكا، فأمريكا الوسطى، فالولايات المتحدة، وإنك لتجد آثارها في نيو أورليانز ومدينة نيويورك نفسها.

ومما لا شك فيه أن تجار الرقيق الذين نزلوا شواطئ أمريكا في الزمان الغابر جاءوا معهم بالفودزم، ويظن أنها وجدت في أول الأمر مرتعا خصيباً في "هايتي" ومنذ زمن ليس بعيدا كان رئيس الجمهورية هناك لا يستطيع أن

يباشر عمله إلا إذا أشرك معه في الحكم الطبيب الساحر، ولقد حاول رئيسان أن يحكما بدون الطبيب فقادا كرسي الرئاسة وسط مذابح هائلة.

وقد قيل أن أصحاب المزارع هناك، وهم من البيض غادروا ممتلكاتهم وفروا بأرواحهم حينما كانوا يرون أن السحرة يقتلون خدمهم ومعاونيهم، ولا يقتصر عمل المشعوذين علي السحر فقط بل يتعداه إلى طبخ السموم ومزجها ودسها للأعداء والخصوم، ويقولون أن لدى الأطباء المذكورين مادة سامة إذا استقرت في جوف الإنسان أطارت صوابه وأفقدته نهاه، وأخرى تقتل الرجل بعد أسبوع أو شهر، أو عام على حسب ما يريد الطبيب الجبار، والحق يقال أن الولايات المتحدة بذلت كثيراً في ذلك العصر لترفع عن أهل هايتي كارثة السحر، وقد استعانت على ذلك بالقوانين والأطباء الأمريكيين والعلم والعرفان، ولكن ليس معنى ذلك أن الفودوزم تلاشت وانقضى عهدها، بل كان الأمر أن خطبها قل عن ذي قبل أو بمعنى آخر أصبح الناس لا يخافون السحرة كثيراً ولا يقرون في يسر بأمورهم الخارقة، ولا يعمدون إليهم في طلب النجدة إذا حصلت بهم الأمراض كما كانوا يفعلون في الزمن الدابر.

وفودوزم إفريقيا تمشي جنباً لجنب مع سفك الدماء ونبش القبور، وأكل اللحوم البشرية، وتقديم الضحايا، وجمعية (الفهد) وجمعية (النمر) ترجعان بأفكار الناس إلى الخرافات التي كانت تقول أن بعض السحرة ينقلبون وحوشاً إذا أرادوا أن يفتكوا بعدو، والأمر لا يزيد على أن الساحر

يضع على جسمه جلد الحيوان الذي يريد أن يبدو في صورته، ثم يخرج يرعب الآهلين الجهلاء.

ومن الأشياء التي يباشرها السحرة للاستعانة بها على أغراضهم "دق الطبول" على صورة كريهة وترتيل الأناشيد والإمساك عن الطعام واستخدام السموم.. والوحشيون الضاربون في مجاهل إفريقيا يؤمنون إيمانا عظيما بمقدرة الطبيب السحار، ويعتقدون أنه لا ينطق عن الهوى، حتى ليقال أن الطبيب يقول للرجل أنك ستموت لا محالة في يوم كذا فيكفي هذا النذير لقتله في الموعد المضروب.

ورغما عن الجهود التي يبذلها رجال الدين من الفرنساويين في الهند الغربية ومحاولتهم اقتلاع جذور الفودوزم ليرحموا الآهلين من نكبته ويده الثقيلة فإن السحر مزدهر يشق طريقه سراً بين الناس حتى ليقف عثرة في سبيل عمل البعثات الدينية وتقام الاجتماعات الخاصة بالفودوزم مساء في غابات الهند الشرقية، ومتى علت أصوات الطبول تقاطر الأنصار إلى الأحراش، وهناك تجري أعمال مدهشة لا تخطر على البال، وقليل من الرجال البيض تمكنوا بطرق ما من الوصول إلى اجتماعات الفودوزم بهايتي، على أنهم لا يسمحون للأبيض أن يرى كل شيء.

وفي الواقع أن أعصاب البيض لا تحتمل رؤية كل ما يجري في أمثال هاتيك المجتمعات وعبادة الثعابين لون آخر من ألوان الفودوزم، وبينما ترى

السحرة الإفريقيين كلهم من الرجال تجد أن الساحرات لهن مكاناً عظيماً في الهند الشرقية وبعض البلدان الأمريكية.

ويطلقون في الهند الشرقية على رئيس الفودوزم الأعظم اسم "بابا لوي" وعلى الرئيسة "ماما لوي"، وهما ممثلا الثعبان الإلهي. وتشرف الماما لوي على الاجتماع وهي واقفة فوق صندوق به الثعبان المقدس ومتى ارتفعت أصوات الطبول، واهتزت الأجسام راقصة على نغم الأناشيد الوحشية ساد المكان هيبة ورهبة ووقع المجتمعون تحت تأثير هائل فإذا هم شبه سكارى، وإذا هم في حالة وحشية، وقد يقدمون في أمثال تلك اللحظات طفلا كقربان لآلهتم وإن كانت العادة أن تكون الضحية جديا أو ديكا.

ومنذ بضع سنوات وقع حادث في هايتي كانت له ضجة هائلة بين البيض، وذلك أن طفلا أبيض سرق من مركبته فبحث عنه والداه طويلا، وأخيراً وجداه في حوزة امرأة عجوز، ولكن الطفل كان في حالة قريبة الشبه من الإغماء، وعبثاً حاول الأطباء أن يردوه إلى حالته الأولى وعند ذلك أيقنوا أنه سقي مادة غريبة مخدرة، وكلما طلبوا من العجوز أن تعيد الصغير إلى صوابه أبت، وبعد تهديد ووعيد قبلت أن تشفيه على شريطة أن يهبوها حريتها.

ومن عام مضى حاول بعض أهالي هافانا أن يختطفوا طفلا أمريكيا إلا أن البوليس قبض عليهم وأخذ يحقق معهم في الأسباب التي حملتهم على

ارتكاب تلك الجريمة الموبقة، وأخيراً قالوا أن امرأة من نسائهم أصيبت بمرض عضال فنصحهم الطبيب الساحر أن يجيئوا بدم طفل من البيض، فإن فيه شفاء العليلة، وعند ذلك تحققت الإشاعة التي طالما أنكرها البيض والسود على السواء إذا كان البيض لا يعتقدون أن الوحشية تبلغ بالسحرة مبلغا يدفعهم إلى ذبح الأطفال الأطهار وكان السود ينكرون أن طقوس الفودوزم تتطلب دماء أطفال البيض، ولكن بعد ذلك الحادثة لم يبق مجال للشك في وحشية السحرة، ويقوم على محاربة الفودوزم في الكاربيان القانون والدين والطب الحديث ولعل ذلك سبب انتشارها على الشواطئ الشرقية لأمريكا الوسطى والجنوبية وآية ذلك الحوادث التي تحدث هناك من آونة لآخرى.

حدث في نيكاراجوا، منذ بضعة شهور، أثناء تحقيق قضية قتل غامضة أن حقائق غريبة تكشف عنها التحقيق فعلم الناس أن الفودوزم في بعض الأحايين دخلا في الاختلافات السياسية والاضطرابات الحزبية، والجرائم الغامضة. وعرف السحر طريقة إلى أستراليا النائية أيضا، والسكان الأصليون هناك، يدينون به ويقرون بفضل الطبيب الساحر ومقدرته الفائقة؛ فهم يخافونه ويرهبون جانبه كما يفعل تماما زنوج أفريقيا.

ولأهالي التبت اعتقادات وأوهام في الشعوذة والسحر قل أن تجد مثلها إلا في الهند، وعبادة الثعبان موجودة في الهند وإن اختلفت طقوسها عما لأهالي إفريقيا. أما الصين فهي مقر الشياطين ومزارهم والقوم هناك يخضعون لأعمال السحرة خضوعا أعمى، ويقال أن الشيطان الصيني لا

يسير إلا في خط مستقيم وهو إذا أراد أن يدور حول نفسه قليلا لم يستطع، فإذا فرض واعترض طريقه ستار نكص على عقبيه، وسلم الناس من أذاه الذي كان يسعى إليه، ولعل تعلق الصين بالأستار واستعمالها بكثرة في دورهم وتفننهم في تزويقها أثر من آثار خرافة السير المستقيم للشيطان.

وأهالي بنسلفانيا (أمريكا) ينقلبون في يسر تعظيم السحرة ويدينون بها أكثر من سكان الولايات الأخرى، وقد يكون سبب ذلك أنه منذ ثلاثين سنة وفد على لانكستر بعض المهاجرين من سكان جنوب روسيا، وكانوا ينتمون لمذهب غريب من المذاهب الدينية حتى ليقال أن الكنيسة الأرثوذكسية الروسية هي التي أمرت بطردهم من الأراضي الروسية لمذهبهم الغريب، فإذا عرفت أن سكان جنوب روسيا قوم ذو أوهام وخرافات وأضفت إلى ذلك الطقوس الدينية العجيبة التي يباشرها أولئك المهاجرين أدركت علة انتشار السحر والشعوذة في لانكستر وما جاورها من المدن الأمريكية.

وبعد، فنقول أنه رغما عن الحضارة المنتشرة الآن في العالم فإن الفودوزم راسخة الأقدام ولها أنصار ومريدون لا بين الزنوج فقط بل في أرقى الأوساط الأوروبية والأمريكية أيضاً.

## الحيوانات المقدسة ـ عبادة الحيوانات في عصرنا

أثبتت الآثار الفرعونية وكتب التاريخ والرحلات القديمة أن قدماء المصريين كانوا يعبدون الحيوانات في عصور حضارتهم العظيمة ويرى العلماء والمؤرخون أن المصريين لم ينفردوا دون غيرهم من الأمم في العالم القديم بهذا النوع من العبادة؛ فلقد كان تقديس الحيوانات أو عبادتها أول ما أدركه الإنسان عند اهتدائه إلى معرفة القوى الممتازة والمواهب المتفوقة على قوته ومواهبه. ولم يرد من أن يسترضيها بتقديم الخضوع والطاعة أو الإعراب عن إجلالها وإكبارها فأوجد من مظاهر التقدير والاحترام ما ندعوه بالشعائر والطقوس الدينية، ولم تخل أمه من الأمم الموجودة في أنحاء العالم من اجتياز مثل هذا العهد قبل اهتدائها إلى ما جاءت به الأديان العالمية.

وهذه هي الأمة الإنكليزية عندما غزا بلادها الإمبراطور الروماني جوليوس قيصر ليكن أبناؤها ليأكلوا الأرانب والدجاج والأوز على الرغم من أوامر هذا الإمبراطور بأن يفعلوا ذلك لقلة ما كان موجوداً من الغذاء، وبديهي أنهم لم يمتنعوا عن أكل هذه الحيوانات مع شدة افتقارهم إلى الموت في تلك الآونة إلا لأنهم كانوا يرونها مقدسة.

فإن القاعدة الثابتة أن كل حيوان أو طائر امتنع الناس عن أكله كان ذلك الامتناع دليلا على أنه كان مقدساً عند أسلافهم ثم نسي سبب تقديسه واعتبر ممنوعاً أو غير لائق للأكل ويظهر أن تقديس الحيوانات

والطيور كان أزل نظام اقتصادي اهتدى إليه علماء الاقتصاد في الأمم الفطرية، وكانوا في الحقيقة من زعماء الدين، ليمنعوا الناس من أكل لحومها حتى تتناسل وتكثر احتفاظاً لأغراض أخرى يرونها أسمى من أكلها، وقد سهل عليهم تقديسها أن الإنسان في العهود الغابرة لم يكن ليجعل أي فارق بينه وبين الحيوانات كما هو الحال الآن، وكان يراها إذا امتازت بالقوة أو الشجاعة أو الصبر كانت أسمى منه في هذه النواحي..

ولذلك كانت القبائل تعتز بأن أسلافها الأول من سلالة بعض الحيوانات وهذه هي الأساطير المصرية والإغريقية والرومانية بل الأساطير الموجودة في مجاهل إفريقيا وأستراليا وأمريكا والهند والصين واليابان تبين إلى أي حد توغل الإنسان قديماً وحديثاً في تقدير أنواع الحيوان ومما يؤدي نظرية القائلين بأن مخترعي تقديس الحيوانات كانوا يريدون الوجهة الاقتصادية قبل كل اعتبار آخر أن بعض الديانات التي عنيت بالاحتفاظ بالحيوانات المقدسة لم تكن لتمنعها بتاتا من الذبح ولكنها كانت تأمر بالمنع في أوقات وبالذبح في أخرى، وذلك إذا توافر عددها وبلغت حد الكثرة بحيث لا يخشى عليها الانقراض.

ولكن هذه النظرية لا يمكنها أن تفسر لنا كل الأحوال والأشكال التي اجتازتها عبادة الحيوانات فإننا نجد بين تماثيل المعبودات الحيوانية آلهة جعلت على مثال الحيوانات في أشكال الرأس وأما الأجسام فعلى مثال جسم الإنسان، ونجد إلى جانبها حيوانات حية منتخبة بطرق خاصة لتمثل

أنواعها وتقدم لها العبادة على أنها الرموز الحية لبعض الآلهة وإن ما فيها من الغرائز أو الصفات إنما هو لتمثيل تلك الآلهة بين سكان الأرض.

وإنه لما يشق على الباحثين أن يعرفوا هل نشأت عبادة الآلة بين الجنس البشري قبل تقديسه للحيوانات أو بعده فإنه من المستحيل أن يعرف الباحث هل عبد الإنسان الأول الحيوانات ثم ارتقى عن هذه العبادة إلى معرفة الخالق وعبادته أو اهتدى إلى معرفة الآلة أو الآلهة التي وراء المادة ثم عبد الحيوانات التي يمثل قواها الممتازة فوق سطح الأرض، وعلى كل حال فإنه من المعقول أن نفهم أن قدماء المصريين عندما كانوا يعبدون العجل أبيس لم يكونوا ليعبدوه لذاته أو لأنهم يعتقدون أنه آله ولكن لأنه رمز الآلة أوزيريس إله الخصب، ولم يكن وجد في ذلك العهد أية واسطة لحرث الأرض بدون استخدام الثور، وكذلك يمكن أن تترجم دلالات كثير من المعبودات الحيوانية.

ولقد كان قدماء المصريين أو الأمم الغابرة من حيث كثرة الحيوانات المقدسة التي دانوا بعبادتها، ويمكن أن نعدد منها الثور والثعبان والقط والتمساح والنسناس وعجل البحر وأبو قردان والكلب والعقرب والضفدعة، وكانت تقام لها الشعائر الدينية وهي حية وإذا ماتت أعلن عليها الحداد وحنطت بأحسن عناية مثل من يموتون من عظماء المصريين ودفنت في قبور الآلهة.

وقد أثبتت الآثار والحفريات أن عبادة "العجل أبيس" كانت موجودة في مصر في عهد الأسر الأولى، وكان الكهنة والفراعنة يعنون أكبر العناية بالحث عن العجل المقدس لأنه لا بد من أن تتوفر فيه بعض الخصائص والصفات فيجب أن يكون أسود اللون وله غرة بيضاء في جبهته، ورسم يشبه شكل النسر فوق ظهره، وإذا ظفر الباحثون بعجل من هذا النوع نقل في سفينة ملكية إلى (ممفيس) حيث يوضع في أحد الهياكل العظيمة في محل علم فرش بأحسن الأثاث ووثير الفراش لينام عليها، ولم يكن ليأكل إلا غذاءً خاصاً ولا يشرب إلا من مياه بئر مقدسة، يلبث العجل في هذا المكان بمعزل عن جميع الناس طول حياته ولا يخرج منه إلا في بعض الأعياد فيسير في الطرقات الكبيرة تحف به القسوس والكهنة وهم يترنمون بالأناشيد والصلوات، وكانت الجماهير تقبل من كل فج وتزدحم في كل مكان لتحظى برؤيا، وكان يقام له عيد فخم في كل سنة عند ذكرى ميلاده يمكث سبعة أيام.

وكان يعتقد قدماء المصريين أن التمساح إله مقدس لأنه تناسخ فيه الإله سبك الذي يربط الأحياء بالموتى، ولذلك كان يسمح للتمساح في إبان الفيضان أن يتجول في أي مكان بدون أن يمس بأذى مهما ابتلع من الأهالي لأنه لا يفعل ذلك إلا لينقل عناصر الحياة إلى الموتى، وكانت توجد مجموعة كبيرة من التماسيح الأليفة في بحيرة موريس، وكان المصريون يزينون أعناقها بالحلي والجواهر ويقدمون لها أحسن الغذاء. وكانت تدفن التماسيح بعد موتها في هياكل وقبور خاصة مثل العجل أبيس، وقد كتب عنها استرابو الذي زار مصر في عهد الإمبراطور أوجتوس؛ فبين كيفية

عبادتها وإجلال الكهنة لها وكيف أنهم كانوا يغذونها بالكعك والعسل والنبيذ المعتق.

وكانت تعبد الأسود في ليونتوبوليس بالدلتا باعتبار أنها صاحبة الزعامة على الوحوش والحيوانات والواقية من شرورها، وكانت تغذى بالعجول الصغيرة ولكي يجعلوها تسر بغذائها يحجزونها في كهوفها ثم يطلقونها في كهوفها ويقدمون لها العجول فتنهش لحمها بشراهة زائدة، وكانوا يرون أنها تمثل الإله (أكر) الحارس للبلاد الذي كانوا يتقدمون أنه يحمي أبواب المدن، ولذلك كان يوضع على كل باب من أبواب سور المدينة تمثالان من تماثيل السباع، وكان يطلق على أحدهما (سيف) والآخر (دوا) أي (أس) و(اليوم) ومعنى ذلك أنهما يحميان المدينة في الماضي والحاضر.

وكان يقدسون القطة باعتبار أنها إلهة الشمس، ويظهر أن ذلك نشأ في الأسرة الثانية والعشرين أي حوالي سنة ٩٥٤ قبل الميلاد، وكان يحكم بأشد العقوبات على من يقتل قطة ولو بغير إرادته واتفق أن جنديا رومانيا قتل قطة فقطعه المصريون شذرا مذرا وإن يكن من جنود الحاكم المحتل لبلادهم، وذكر هيرودتس أن كانت القطط تحنط عند موتها وتدفن بأعظم حفاوة في بوبستيس وهي المدينة التي ترعاها إلهة الشمس.

وكان يعبد قدماء المصريين الطائر المعروف (بأبي قردان)، ومركز عبادته مدينة هرموبوليس، وذلك باعتبار أنه مبيد الحشرات والثعابين لا

سيما الأفاعي المجنحة التي ورد ذكرها في الأساطير القديمة التي كانوا يعتقدون أنها تفد إلى مصر من بلاد العرب.

ولا ريب في أن قدماء المصريين كانوا في ذلك العهد كسواهم من الأمم في عبادة الحيوانات وتقديسها فإن اليونانيين عندما دخلوا مصر كانوا يدينون لها بالعبادة كما كان يفعل المصريون، ولما جاء الرومان من بعدهم فعلوا كذلك مثل فعلهم. وإننا نجد في بلاد الإغريق والرومان والفرس من المعبودات ما يماثل ما لدى المصريين ولا سيما في الأشكال الحيوانية الميثولوجية، وبديهي ألا تتقلص الديانات القديمة دفعة واحدة، وعلى الأخص في تلك البلاد الشديدة التمسك بالتقاليد الموروثة، وهذا هو السبب في أننا نجد كثيراً من المعبودات الحيوانية لا تزال قائمة على عروش تقديسها السابق.

ويقدس الهنود كل أنواع الحيوان لأنهم يعتقدون أن أرواح أسلافهم تتناسخ في هذه الحيوانات من عهد إلى آخر. ولا تزال البقايا من سكان أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية الأصليين يعبدون الحيوانات كما كانت تفعل أسلافهم في الأزمنة الغابرة، وذلك لأنهم يعتقدون أن أنواع الحيوانات كالغزال والطيور والسمك والدجاج إلى آخره لكل نوع منها زعيم هو الغزال الأعظم والطائر الأعظم والديك الأعظم وهكذا. وإن هذا الزعيم هو الذي يأمر رعاياه أي أفراد نوعه بأن تكون غذاءً للإنسان؛ ولذلك يلزم أن يبجل، أما قبل أن تذبح أفراد رعيته أو بعد الذبح. فإذا أرادت قبائل الزوني في المكسيك ذبح غزال أتي بالغزال الأعظم ليباركه بغمس فمه في

دم الغزال المذبوح. وإن ذلك ليرينا لماذا نشأت عبادة الحيوانات فإنه كان يعتقد أن لكل نوع من الحيوانات آلهاً فإذا لم يرضه الإنسان بالعبادة غضب عليه وحرمه من التغذي بأفراد نوعه.

ويعتقد بعض سكان المكسيك وأمريكا الوسطى أن لكل إنسان قريناً من أنواع الحيوان وهذا القرين هو الذي يقيه من الشر في هذا العالم. ويجلب له كل الخير. ولا ريب في أن هذا الشعور هو الذي حصل عند الإنسان الأول حينما تم له الفوز في استئناس بعض الحيوانات فإنه كان يراها تدفع عنه الضر والنصب، وتجلب له السعادة والنفع، ولما لم يكن له من وسيلة لدفع شرها واستدرار خيرها إلا العبادة أقام منها الآلهة وهذا هو شأنه في تقدير ما يخاف نقمته أو يرجو نفعه.

ولذلك يحرمون قتلها أو مسها بأقل أذى ويقدسون طائفة من الحيوانات ويحتفظون بها في الهياكل البوذية لاعتقادهم أنه حلت فيها أرواح بعض الآلهة ويرون أن كل البقر المقدس وكذلك الفيل لأنه رمز جنشا إله الحكمة، والثعبان لأنه رمز إلهة السحاب.

## فتاة وقرد يتبادلان الغرام ويعيشان في الغابات

أظن أن أغلب القراء قد طالعوا قصة طرازان الشهيرة أو سمعوا شيئاً عنها فعرفوا منها أن غلاما نشأ بين القردة فكانت له أصواتهم وحركاتهم وطباعهم حتى لينكر المرء عليه إنسانيته، ويعتقد الكثيرون أن كاتب هذه القصة كان مخرفاً نابغاً! ولكن يلوح لنا مما نقرأه يوما بعد يوم أن الحكاية التي رواها الكاتب ليست بعيدة الاحتمال، وإن كان قد كساها ثوباً من الخيال والمبالغة.

وقد حدث أخيراً أن صيادا كان يطارد فيلا في غابة من غابات الكاميرون فإذا هو يرى قرداً ضخم الجثة كامنا فوق شجرة قريبة منه يحدق الصياد بنظرة قلقة فما كان من هذا إلا أن صوب عليه بندقيته وأطلق عليه رصاصة أردته عند قدميه قتيلا. وتصور مبلغ الدهشة والارتياع الذي تولى الصياد المسكين حين تقدم إلى الفرد فوجده امرأة من سكان تلك المستعمرة!

وقد انتهت أبحاث الرجل إلى أن القرود اختطفوا طفلة من القرية منذ سنوات كثيرة وذهبت سدى جهود أهلها في البحث عنها؛ فرجح لدى الناس أن هذه المرأة التي قتلها الصياد هي الطفلة المخطوفة، وأنها عاشت بين القرود فنشأت على مثل طباعها ومنظرها.

وقد عرفت حالات تبنت فيها الأطفال، وقام القرد من دونها يصد المهاجمين الذئاب والدببة والقرود والنمور، ولكن مما يؤسف له أن هؤلاء الأطفال الحيوانيين فقدوا قدرة التعبير كما كانوا أضعاف الذاكرة فلم يتهيأ للعلماء أن يعرفوا شيئاً منهم عن حياتهم السابقة أو عن طباع الحيوانات التي عاشوا بينها، وحدث في إفريقيا الجنوبية أن قطيعاً من القردة اختطفت طفلا وطنياً يدعى لوكاس، فعاش في هذه البيئة عدة سنوات إلى أن أنقذته منها فرقة من البوليس.

وعندما عثر البوليس عليه وجدوه يسير على أربع كالحيوانات، ويعض ويخمش ويلعب مع زملائه، ولم يكن حديثه سوى نوع من الصراخ والعويل المعروف عند القردة، وكان جسمه كله مغطى بالشعر الكثيف.

وتعهد أحد العلماء بتعليمه اللغة الإنجليزية حتى استطاع الآن أن يعبر بها عن أفكاره، كما استطاع أن يذكر شيئا عن ماضيه الغريب، ففي رأسه أثر نتيجة جرح على ما يظهر فلما سئل عنه قال بأن نعامة رفسته وهو في الغابة حين أراد أن يداعبها قليلا.

وذكر أنه كان بين القرود قرد كبير يواليه بعطفه الدائم ورعايته، ولطالما جمع له الفواكه وقدمها إليه ليأكلها أو إذا اشتد البرد احتضنه بين ذراعيه أو ذهب به إلى مكان دافئ بين الشجيرات المتكاثفة فيضعه بينها ويغطيه بالأعشاب، وتحدث أيضاً عن الطريقة التي تعلم بها المشي على

يديه ورجليه، وهو ما زال حتى اليوم يجهل تقلبات الوقت ولا فرق لديه بين النهار أو الليل.

وحدث أيضا أن قرداً ضخماً من نوع الأورانج أو تانج ضخم على بيت في إحدى القرى واختطفت منه فتاة وذهب بها إلى أعماق الغابة. ومرت سنة ونصف والأب المسكين لا يكف عن البحث عن غريمه إلى أن وفق إلى العثور على مخبئه فوق شجرة عالية تناطح السحاب، وكانت الفتاة برفقته فلم يبد عليها الابتهاج بقدوم المنقذين.

وأقام مطاردون تحت الشجرة يرقبون مغادرة القرد لمخبئه فلما أعياهم الانتظار بدأوا ينشرون الشجرة لإسقاطها، فلما وقعت احتمل القرد الفتاة وجرى بها وتبع الصيادون الهارب؛ فلما اشتدت المطاردة. وضع القرد الفتاة على الأرض وانطلق وحده إذ أثقله حملها، فلما رأى الوالد ابنته أمامه أقبل إليها يحتضنها وذهب بها إلى بيته وكف عن مطاردة القرد.

ولكن هناك رأى الوالد أن ثمة تغييراً محسوساً قد طرأ على الفتاة في خلال هذه الشهور الثمانية عشر، فلم تسرها عودتها إلى بيت أبيها. وإذ هبط الليل وارتفعت أصوات الغابة عادوها السرور والانشراح وأقامت في النافذة تنادي بالصراخ على زملائها.

وفي ذات صباح تفقدوا الفتاة فلم يعثروا لها على أثر؛ فقد استجابت إلى نداء الغابة ورجعت إلى حبيبها القرد. ولم يهتد أبوها إليها إلا بعد مرور

عام كامل، وفي هذه المرة وضعها القرد على الأرض وقام من دونها بصد المهاجمين فأردته عشر رصاصات سددت إلى جسمه. وأمضت الفتاة سائر أيامها في البيت تنظر إلى الغابة نظرة ذاهلة حزينة لا تفتر شفتاها عن ابتسامة واحدة ولا تعنى بالمدنية المحيطة بها.

ولعل أغرب الحكايات ما روي عن طفلة في جوهانسبرج اختطفها الأسد وذهب بها إلى أعماق الغابة وبعد بحث دام ثمانية أيام اهتدى الصيادون إلى الأثر وأطلوا ينظرون في عرين الأسد فإذا اللبؤة رابضة تداعب شبلين وطفلة صغيرة؛ فأطلق الصيادون رصاصة في الخارج ففزعت اللبؤة ونهضت لاستقبال القادمين فتوارى هؤلاء عنها حتى إذا بعدت انسلوا إلى العرين ورجعوا بالطفلة فوجدوها سالمة لم ينزل بها أي سوء.

ولكن النادر أن تألف الذئاب الإنسان وترضعه، ومع ذلك فقد قبض في سنة ١٨٦٧ على طفلة ذئب في غابات "بيلاندشار" غير المطروقة حيث وجدوه نائما على صخرة في الغابة وبجانبه الذئبة ترقبه وجعل الطفل يمزق ثيابه ويرفض الطعام العادي الذي يقدم إليه ولا يأكل سوى النباتات والجذور وعاش ثلاثين سنة لم يستطع أن يتعلم في خلالها سوى كلمات معدودة.

## هل تخيل القدماء الاختراعات الحديثة ؟

هل فكر المصريون القدماء أو الرومان أو الإغريق في فكرة التواصل اللاسلكي (التليفون أو الموبايل) بل نقصد هل فكروا في واسطة تنقل الأحاديث البعيدة علي صورة ما.. يخيل إلينا أن الغابرين حلموا أو تمنوا كل اختراعاتنا الحديثة، بل ونقول أن الراديو والطائرات ومكبر الصوت والفونوغراف وما إلى ذلك ما هي إلا ثمار أماني السالفين، أو صدى أحلامهم.

كانوا مثلنا يشعرون بحاجتهم إلى وسائل جديدة ترفه عيشهم وتنمي أموالهم، وتقرب البعيد إليهم إلا أنهم كانوا في عصور تختلف عن عصرنا الحاضر. كانوا يجهلون القوى الطبيعية التي أودعها الخالق جل شأنه في الأرض والماء والهواء، وكانوا فقراء في الفن فظلت أمانيهم أحلاماً مبعثرة، وهل مدينتنا الحاضرة إلا ثمرة من ثمار الفن!

كلنا يعلم أن الأوائل فكروا في الطيران، وأن رجالا منهم حلّقوا في الجو وسواء أعرفوا كيف يهبطون إلى الأرض سالمين أم راحوا ضحية المجازفة والإقدام، فإن ذلك لا ينفي أنهم أرادوا استخدام الهواء في النقل، ولنترك الجو ولننزل إلى الأرض.

حاول القدماء مراراً أن يبعثوا بأبنائهم أو بتحذيرهم إلى جهات بعيدة في أمد قصير فباشروا عدة رسائل، وما زالت تلك الوسائل تتطور على مر

الأحقاب والدهور، فننتقل من حسن إلى أحسن حتى أشرق العصر الحاضر فإذا الوسائل العتيقة العقيمة تستحيل تليفوناً وتلغرافا الخ.

كان الرومان يشعلون النيران ليراها الآخرون البعيدون فيعرفوا معنى الإشارة أما أهل إفريقيا فكانوا يدقون الطبول إذا أرادوا أن يبلغوا إخوانهم الذين في أطراف العابة نبأ مهماً، واستخدم هنود أمريكا الدخان يرسلونه في الجو فإذا هو آية بينهم وبين أفراد عشيرتهم فمنذ تفهم من مخولتهم تلك؟ أما هي لون آخر من ألوان الاختراعات الحديثة؟

ألم يتفاهموا مع صحبهم النائمين في لحظة قصيرة، ألا ترى وجه الشبه بين عملهم ووقوفك أنت أمام آلة التليفون في لندن تخاطب عميلك في كندا مثلا!

قبل مولد المسيح بألفي سنة، كان مهندسو آشور يرسلون أوامرهم للأرقاء الحاملين كتل حجارة البناء بواسطة قرن ينفخون فيه، ثم انصرمت السنون فإذا أهل الطبقة العليا من الرومان يضعون حجر البوابين أنابيب تنتهي بقاعة القمر الكبرى حتى إذا قدم زائر تكلم البواب في الأنبوب فاستعد أهل البيت للاحتفاء بالزائر وجاء عام ١٦٧١ فأدخل مورلاند أنابيب الكلام في مراكب البحرية البريطانية.

من ينكر أن أنبوب البواب الروماني هو أول تليفون ظهر في العالم؟!

وما كان ليوناردو دافنشي (١٥٠٠) برسام فقط، بل اشتغل أيضا بالاختراع والابتكار، قيل أنه صنع شبه طيارة أثقل من الهواء، وأنه زود قصر ميلان بعدة أنابيب للكلام.

ويزعم الصينيون أنهم أول من اخترع التليفون، وإذا ذكرنا الصين صورا تاريخها العجيب الحافل بألوان المدنية في عام ١٨٧٧ طفق الكتاب الأوربيون يعددون في الصحف فشدة التليفون وما يرجى منه للحضارة والعمران فقام رجل صيني ونشر في إحدى جرائد "بيكين" مقالة طويلة قال فيها: إن أوربا تملأ فمها بذكر الاختراع وتنسبه لرجلها، والواقع أن التليفون من مبتكرات العقل الصيني

قال الصيني: في عام ٩٦٨ صنع "كنج – فو– هون" جهازاً سماه (ممتسين) وهو يحتوي على أسطوانتين من الغاز الهندي قد وضع نسيج رقيق في طرف كل واحد منهما، فإذا جمع بين الطرفين بواسطة حبل دقيق وتكلم إنسان في الأسطوانة سرى الصوت في الأخرى"

وما ذكره الصيني لا يزيد على التليفون الذي يصنعه الأطفال من الخيط إلا أنه أثبت على الأقل أن فكرة التخاطب على بعد جالت في نفوس الصينيين فصنعوا جهازاً لها.

وكتب روبرت هووك عام ١٦٦٧ يؤكد أن الصوت قد يحمل إلى مسافات بعيدة بواسطة حبل أو سلك، وقال أنه مستعد أن يبرهن على أقواله.

وأول تسجيل رسمي للتليفون كان في يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٧١ وكان صاحب التسجيل أنطونيد منسيه الإيطالي الذي دأب على دراسة الجهاز نحو ربع قرن، وفي عام ١٨٨٦ نصبت لوحة تذكارية لتخليد اسم أول من اخترع وصنع جهاز التليفون.

أدى اختراع التليفون إلى اختراعات أخرى، كالسينما الناطقة وخلافه.

أرأيت لآن كيف اختمرت الفكرة أو الأمنية في نفوس الأولين ثم تطورت وبلغت درجة الكمال ثم أرشدت إلى اختراعات أخرى قيمة.

وكما تبدو الأمنية في الكلام تتجلى أيضاً في الصور والأشكال فكثير من المصورين حين سمعوا باختراع التليفون راحوا يرسمون صوراً كاريكاتورية تمثل أثر الاختراع على الحياة الاجتماعية، وما قد يهتدي إليه المفكرون العاملون من اختراعات أخرى، فرسموا أسرة تجتمع في غرفة لتسمع أغاني لاورا، ورسموا كيف ستنقل الأحبار والأنباء، وكان روبيدا الفرنسي صاحب القدح المعلى في الصور الهزلية التي رسمها وضع عدة صور تمثل ما قد يصنع من الأجهزة لنقل الصوت على جناح الأثير كجهاز الآلة المكبرة للصوت وخلافه.

ومن الرسامين من تناول الاختراع بالتهكم ورسم صوراً ظنها خرافات إلا أن العلم حققها في زمن العرفان والفن؛ فرسم مصور إنجليزي في عام ١٨٤٩ عدة صور تهكمية أظهر في إحداها أن موسيقى دور التمثيل

والرقص تصل إلى الناس في منازلهم، وراح رسام ألماني يصور جدران المنازل وبها شيء تلفه فتسمع الموسيقى البعيدة، وكان ذلك عام ١٨٧٧.

ومرت سنوات فسمع الناس موسيقى الأوبرا بواسطة التليفون ثم استعملوا الآلة المكبرة للصوت، وفي ١٤ فبراير سنة ١٨٧٦ سجل "جراهام بل" جهازاً جديداً للتليفون في مدينة وستن، وفي مايو من السنة نفسها عرض الجهاز في المعرض العالمي الذي أقيم في بوستن، وكانت فكرة الفونوغراف أسير جنبا إلى جنب مع التليفون إلا أن سيرها كان بطيئاً وإذا رجعنا إلي عام ١٥٧٩ وجدنا (ورنا) العالم الإيطالي يقول أنه يقدر أن يضبط الأحاديث والغناء في أنابيب حتى إذا أراد سماعها مرة أخرى أرسلها من خزائنها، وفي منتصف القرن السابع عشر ذكر (سيرانو دي برجراك) في رحلته إلى القمر قصة صندوق به آلات ميكانيكية رقيقة يمكنها بواسطة (إبرة) أن تعيد ما التقطته من كلمات أو موسيقى فيحسبها السامع خارجة من أفواه المتكلمين أو المغنين، وقال: وبدهي أن مثل هذا الاختراع يجعلنا نعتمد كثيراً على آذاننا، ويريحنا من تعب المطالعة والحفظ.

ولو رأى سيرانو الفونوغراف الآن لخجل من نفسه ولعرف أنه كان يسخر حين كان العلماء يكدون ويخترعون. وذكر المستر "هـ. ج. ولز" أنه شاهد في عصره عدة عجائب كان يتصورها ويعدها ضربا من الخيال والأحلام قبل ظهورها.

وحوالي عام ١٨٧٨ عرض مندوب أديسون الفونوغراف على رجال أكاديمي باريس فما سمعه الأستاذ (بويلار) حتى تملكه الغضب، زعم أن أديسون يخدع الجمهور وقال:

(أن الإنسان لا يستطيع أن يتصور أن قطعة معدن قذرة تخرج الأصوات البشرية السامية)

وكثير من رجال العلم الممتازين حملوا على الفونوغراف، وقيل أن الجهاز حين عرض في روسيا (وكان يسمى الحيوان الميكانيكي المتكلم) غضب القوم هناك فقبض على العارض وحكم عليه القضاء بالسجن ثلاثة أشهر وبغرامة، ثم حطموا الآله الكاذبة.

□

## هل يقوم التنجيم علي أساس علمي ؟!

اللغة السنسكريتية وكتب الهنود حافلة بذكر التنجيم من أقدم العصور، وذكر "كلوديوس بطليموس" في مؤلفاته الفلكية في القرن الثاني للميلاد ما كان يعرفه قدماء المصريين من التنجيم، وهنالك من الأدلة ما يثبت أن أهل الصين وقفوا على كثير من أصول الفلك والتنجيم حوالي سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد، وكان من مستلزمات الملوك والعظام في أزمنة الحضارات القديمة أن يستطلعوا آراء المنجمين قبل إقدامهم على القيم بالأعمال الخطيرة.

ولذلك كان المنجم يلبث عدة أيام وليال وهو يرصد النجوم ويدرس الكتب ليدلي بالجواب الصحيح أو القريب من الصواب، وكان الويل له كل الويل إذا هو أخطأ في إجابته لأنه كان يعد نبياً تفقهه النجوم على حقائق الأمور وأسرار الكائنات كما سيتم حدوثها ووقوعها بين الناس.

وكان أكثر المنجمين يتبعون في إجاباتهم وأقوالهم طريقة الألغاز ولكن الناس كانوا يحرصون كل الحرص علي حفظ ما يفوهون به، وإن لم يفقهوا معناه، وقد لبث الناس في كل العصور يعتقدون بصحة التنجيم وإن كانوا يرون أن كثيراً من تنبؤات المنجمين بعيدة عن الحقيقة. وذلك لأنهم يرون أن يندر وجود من يجيد معرفة أصول التنجيم أو تتوفر فيه الكفاية لإدراك أسراره، وإنَّا وإن كنا نعد هذا العصر أعظم من كل العصور الماضية من حيث التقدم في العلوم والثقافة والتخلص من الأوهام والأساطير القديمة،

إلا أننا نجد من يشتغلون بالتنجيم في كل مكان لاسيما بين أبناء الحضارة في أوروبا وأمريكا.

وليس هنالك أي فرق بين عمل المنجم القديم والمنجم الحديث إلا من حيث الصورة أو الشكل وأما الجوهر فهو في الحقيقة لم يتغير، لأن التنجيم في الواقع ليس إلا معرفة ما حصل أو ما سيحصل بالاستنتاج من أحوال النجوم ومواقعها بالنسبة للأرض، وقد ثبت علمياً أنه يوجد بين النجوم ومغناطيس الأرض تأثيرات كهربائية أثيرية وبالتالي المغناطيسية تفاعلها في الوظائف العضوية والنفسية في الإنسان وعلى ذلك تكون التغيرات الطبيعية وغير الطبيعة في أحوال الناس. ويمكن للفطن أن يبني على هذه التأثيرات المغناطيسية ما شاء من النتائج حسبما يراه بفراسته متصلا بالواقع ولما كان التأثير الكهربائي المتسلط على الأرض مباشرة مستبعداً من الشمس فتكون التغيرات المغناطيسية في الأرض تابعة لمواقع الشمس.

وقد أثبتت الأبحاث الفلكية الحديثة وجود مثل هذا التأثير بين كثير من الأجرام الفلكية وبين الأرض وبعض الكواكب، وإذا سلّمنا بهذه الحقائق العلمية. ما نرى أن ذلك لا يبين لنا ماهية هذه التأثيرات في تكييف أو معرفة أحوال كل إنسان يعيش فوق سطح الأرض. فإذا قيل أن شخصاً ولد في وقت اقتران النور بالقمر قال المنجم أنه ولد في وقت نجمي وأنه يلبث طول حياته يشكو الصداع ويفقد أسنانه في وقت مبكر، ولكنه لا يذكر لنا تعليل ذلك. والظاهر أن هذا القول وأمثاله مستمدة من نتائج

أبحاث قديمة عن تأثيرات الأجرام الفلكية ولم تصل إلينا هذه الأبحاث التي عرفت عنها الخصائص الفلكية التي يذكرها المنجمون..

ولقد كان طبيعياً أن يلتفت المنجمون لتأثيرات الكواكب على الكرة الأرضية وسكانها فهذا هو القمر إذا ظهر في السماء جذب مياه المحيطات بحركة مدهشة وهي التي تعرف الآن بالجزر والمد. وبديهي أن يكون لهذا التأثير أو ما ماثله صداه في الإنسان. ولكن ما لا يمكن أن يفسر مجال من الأحوال ما يذهب إليه بعض المنجمين من المزاعم التي يملأون بها أذهان الدهماء مثل قولهم لشخص أنه سيحرق أو تدق عنقه أو تقع عليه حائط أو يداهمه قطار ترام أو ينال مبلغاً من المال أو يكسب إحدى القضايا. ويمعنون في التدجيل والتضليل فيعينون أوقات محددة لوقوع هذه الحوادث.

وربما دافع بعض الناس عن المنجمين بأنه قد يقع في كثير من الأحوال ما يذكرونه من الحوادث، وهنا يجيبهم من بحثوا في تحقيق هذه المزاعم بأن ما يذكره المنجم لأي شخص قد يكون له أكبر تأثير في تكييف حياته وتوجيه عنايته إلى الشيء الذي ذكره له لشدة اعتقاده فيكون وقوعه بناءً على الأسباب التي قام بها تمهيداً له، وتروى في هذا الصدد أمثلة كثيرة. منها أن منجماً قال لأحد الشبان أنه سيكون كاتباً بليغاً فاعتقد صدق تنبأته وأن يكن خلواً من أي استعداد للكتابة، ومازال يقرأ كتب البلاغة وسواها ويكتب في كل وقت ليصل إلى الغاية التي ذكرها المنجم، وقد كتب نحو عشرين كتابا ولكنه لم يجد أحداً يقبل طبعها ونشرها ولكنه مع ذلك لم يزل مسوقا نحو الاتجاه الذي عينه له المنجم حتى صار يعد بين

الكتاب في هذا العصر. فهل كان ذلك عن حقيقة عرفها المنجم أم هو نشأ من طول القراءة والمران على الكتابة.

وهنالك أمثلة عديدة برهن فيها بعض الكتاب على أن أقوال المنجمين بوقوع حوادث معينة كانت سبباً في وقوعها لأن من قيلت لهم هذه الأقوال! اعتقدوا صحتها وصاروا يعملون في اتجاهاتها بقصد أو بغير قصد وقد كان منها بعض الجرائم المروعة.

ويرى بعض الباحثين أن أقوال المنجمين ليست إلا ألغازا أو عبارات مبهمة يصح انطباقها على كثير من الأحوال ولكن من يعطيها صبغة معينة هو الشخص الذي قيلت له كما يصور له استعداده ونفسيته. وهو الذي ينفذها بما يتفق مع تأثراته وميوله وما يحيط به من الظروف وعلى كل حال فإن العلم لم يكشف بعد حقيقة التأثيرات الفلكية التي بين الكواكب والأرض ومن عليها.

ويرى العلماء أنه لا بد من دراسة التنجيم حسب الأصول العلمية لمعرفة ما يمكن أن يؤدي إليه من النتائج الصحيحة. وهذا هو الدكتور "نيسون" مدير شركات التليفون الأمريكية في الولايات المتحدة قد خصص جانباً كبيراً من ثروته لإجراء أبحاث علمية في التنجيم. وهو يعتقد أن سيأتي يوم يشتغل فيه الساس حسب أقوال المنجم

وقررت جامعة بولونيا بإيطاليا تدريس التنجيم، وكذلك جامعة برلين وجامعة ليبزج بألمانيا وجامعات هارفارد كولومبيا ونيويورك بأمريكا. وعلى ذلك يمكن أن نقول من الآن أنه سيأتي عهد قريب تكون فيه تحيه الصباح المتبادلة "ماذا قال لك المنجم اليوم؟"

## شمشون .. الرجل القوي الذي كان ضعيفاً

جرت وقائع هذه القصة في بلاد فلسطين قبل أن يشرق في أرجائها حكم الملك (داود) عليه السلام. يجتاز المسافر بين "يافا" وأورشليم سهلا خصبا يسمى الآن "وادي السرور" وشمال هذا الوادي النضير تقع قرية "زوراء" التي كان يسكنها (مانواه) والد بطل قصتنا، وكان الفلسطينيون أصحاب السلطة والأمر في ذاك الوقت وكانوا ينظرون إلى بني إسرائيل الوافدين عليهم نظرة رب البيت إلى الغريب الطارق.

وكان "مانواه" من الناجحين؛ فربح كثيراً من زراعة الأرض وعاش مع زوجته في دعة وخفض إلا أن هما واحداً كان يعكر عليهما صفو أيامهما، وذلك أنهما لم يرزقا بمولود يعتمدان عليه إذا أقعدهما الكبر وبرح الحزن بالزوجة إلا أن رجلا غريبا زارها ذات يوم وقال: "أيتها المرأة الطيبة سترزقين بغلام، فلا تذوقي الخمر أو الطعام القذر وإياك أن تجعلي الموسى يمس شعر رأسه، وسيكون قوياً وسيخلص بني إسرائيل من ظلم آل فلسطين". ورفعت المرأة قصتها إلى زوجها، ثم قالت: "إلا أنه لم يطلعني على اسمه وأحسب أنه ملاك من لدن الله"؛ فنظر الزوج إلى السماء وقال: "اللهم ارسل إلينا ملاكك ليعلمنا كيف ننشيء الغلام الذي ستهبنا إياه".

فاستجاب الله دعاءه، وبينما كانت المرأة في الحقل رأت الرجل الذي دعته ملاكا يقبل نحوها، فمضت وأحضرت زوجها الذي قال للزائر: "بماذا تشير علينا متى قدم المولود الميمون؟" فكرر الغريب ما سبق أن ذكره

للزوجة. وولد الغلام فأسماه "سامسون"، وقبل، بل أسماه "شمشون" أي الشمس الصغيرة. ويؤيد ذلك أن مدينة "بيت شمس" كانت على كثب من دار الصبي؛ فشب الولد قويا جباراً، وكانت طلعته مليحة وشعره غزير، وسرعان ما أصبح له صوت مسموع في بيت والديه، وكان فخورا بجدائل شعره فاحترمه الناس وخافوا بطشه، ولما بلغ مبلغ الرجال قال لوالديه أنه رأى فتاة فلسطينية بمدينة تماث فأحبها، وهو يريد منهما أن يجيئا بها.

فغضب الوالدان وقالا: "ومالك وأهل فلسطين، وبنات اليهود أجمل شكلا وأحسن خلقا"، إلا أنه أصر على طلبه وأبى أن يستمع لحديثهما ونصحهما، وأخيراً رضخ الوالدان لمشيئة وحيدهما وقالا لعلها إرادة الله حتى يجد "شمشون" منفذا لإغضاب الفلسطينيين وقهرهم كما وعد الملاك. وغادر ثالثهم المزرعة وساروا إلى "تمنات"، وكانت مدينة أنيقة تحوطها الكروم والجات، وهم في الطريق إذ سمع "شمشون" أسدا يزأر بين الكروم فمشى إليه واثبة وما هي إلا لحظة حتى مزق الوحش شر ممزق.

وكانت زيارة موفقة، ورجع الثلاثة إلى بلادهم، ثم كر "شمشون" راجعاً إلى مدينة الحسناء ليتزوج منها، ومر وهو في طريقة على أهاب السبع فوجد أن النحل قد اتخذته بيتا لها فطرهما والتهم شهدها ثم سار إلى بيت صاحبته فاحتفل به ذووها احتفالا شائقاً، وأقيمت معالم السرور والأفراح ومدت الموائد وأقبل الضيوف من كل فج عميق وتقدم منه ثلاثون من شباب فلسطين ورحبوا به وساروا به إلى عروسه، ودفعوا نفقة الأفراح من جيوبهم الخاصة كما هي العادة المتبعة هناك وأراد (شمشون) في أول يوم أن

يظهر أمام الفتيان حكمته فوسد كل واحد منهم بثوب جديد إن هم حلوا لغزا له، وذكره لهم، فأسقط في أيدي الفتيان وعجزوا عن حل اللغز ثلاثة أيام، ولما عيا صبرهم مضوا إلى العروس وهددوها بالحرق في بيت أبيها إن هي لم تأتهم بحل اللغز من زوجها "شمشون"

وكان "شمشون" ضعيف الإرادة ككل جبار محب لملاذ فلم يتمكن من قهر عواطفه، وخضع لمكر وحيل زوجته فأفضى إليها بحل اللغز، فلما كان الغد أقبل عليه الفتيان وقالوا: إنما تعني "أي شيء أحلى من الشهد؟ ومن أقوى من الأسد؟" فتطاير شرر الغضب من عيني الجبار، وأربد وجهه جنبا وصاح: "علمت الآن أن زوجتي قد باحت لكم بسري، وإلا لما قدرتم على حل "لغزي"..." قال ذلك وسار إلى مدينة عسقلان وقتل ثلاثين من أناسها وجاء بثيابهم الملطخة بالدماء وقدمها إلى الفتيان الثلاثين الذين فسروا اللغز.

ومنذ تلك اللحظة نقم "شمشون" علي أهل فلسطين، وأضمر لهم الحقد والكيد، ومما زاد في غيظه أن حماه أعطى عروسه لأحد الفتيان فجعل شمشون يكيد لأهل فلسطين ويريهم بمكائده الفينة بعد الفينة، وكان أهله وقومه المقيمون في "جودة" خاضعين لحكم الفلسطينيين كما أسلفنا فحبوا على أنفسهم من شر أسياد الإقليم فمضوا إلى "شمشون" وقالوا له: "أنت تعلم أن أهل فلسطين هم ذو الحول والطول فكيف تعاديهم وتتلف كرومهم وتقتل رجالهم؟".. قال: "إني أقتص منهم على ما أسلفوا نحوي من شر، فعاهدني على ألا تكونوا حربا علي مثلهم". وأغار الأعداء علي مدينة

"شمشون" وأسروه، وأحكموا وثاقه إلا أنه قطع الحبال وتناول فك حمار وقتل به عددا كبيراً من حراسه.

وكان الجبار يستملح نساء فلسطين ويتعرض لهن، وكثيراً ما جر علي نفسه التعب من جراء ذلك.. زار مرة إحدى نساء مدينة غزة، فلما تسامع السكان بالخبر وقعوا له على باب المدينة ليفتكوا به عند ساعة الفجر، ولكن "شمشون" كان واسع الحيلة، علم أنهم سيرقبونه عند مطلع الفجر فزايل بيت صاحبته في منتصف الليل وسار إلى البوابة الكبرى وخلعها من أساسها ومضى بها نحو أربعين ميلا ثم طرحها على تل قريب من "هبرون" ورأى الجبار امرأة جميلة اسمها (دليلة) فشغف بها حبا واتصل بها، فوعدها رؤساء فلسطين أن يعطوها مقداراً عظيماً من الفضة إن هي استخلصت لهم من صاحبها سرقوته، فجعلت تستميل الرجل وتستدرجه وتسأله في دلال وهيام أن يحدثها عن مصدر قوته الخارقة إلا أنه لم يستمع لها وكتم دونها سره.

وكان كلما كذب عليها كذبة في صد سؤالها أفضت بحديثه إلى خصومه فإذا جاء جد الجد فهو القوي الجبار كعهده هذا ورؤساء فلسطين يستحثونها على كشف الأمر ويمنونها أطيب الوعود وأحلى الأماني، وأخيراً قالت له: "كيف تقول يا صاحبي أنك تهواني مع أن قلبك بعيد عني ولو كنت تحبني حقاً لما كذبت علي إذ سألتك عن قوتك وسرها". وأبدت له جانب الصد، وهي مع ذلك تلح عليه بالسؤال في كل يوم وتدنيه وتقصيه إلى أن سئم عيشه فراح يحثها بمكنون سره. قال: "ما دنا الموسى من شعري منذ ولدت، فلو

حلق زايلتنى قوتي وعدت كبقية الرجال" فأرسلت إلى خصوم صاحبها فلما جاءوا وحدثتهم بالأمر فكمنوا في مكان من البيت، وطلبت الغادرة إلى صاحبها أن يتوسد حجرها وينام فلما فعل وأخذته سنة من النوم جاء رجل وحلق ذوائبه السبع فخارت قواه.

وصاحت دليلة: "أي شمشون، انتبه فالفلسطينيون على الأبواب"، فهب من نومه، وقال: "سأنزل بهم الويل"، وكان المسكين لا يعلم ما حل به. ووقع في أسر أعدائه، إلا أن خاتمته كانت عظيمة، ألقي في السجن بعد أن أتلفوا عينيه، ولكن شعره طال على كر الأيام.

وفي ذات يوم وقد اجتمع رؤساء فلسطين للاحتفال بعيد الإله "داجون" أسروا بإخراج السجين من حبسه ليعبثوا به وخرج الجبار الضرير يقوده غلام، وقال للغلام: "اجعل مكاني بجانب العمدان التي يرتفع عليها البيت". والتف الرجال حوله كما يلتفون حول قفص حيوان وصاروا يهزؤون به ويضحكون عليه، فتوسل شمشون إلى الإله أن يفيض عليه القوة وأمسك بعمودين وقال: "اذكرني يا إلهي، وأرسل القوة في جسمي واجعلني أموت مع الفلسطينيين"، وجذب العمودين فانهار البناء عليه وعلى أعدائه وعلى الحاضرين؛ فقيل إن الذين قتلهم ساعة موته كانوا أكثر عددا من الذين فتك بهم طوال أيام حياته ومات الجبار قرير العين تحت الأنقاض هذه قصة "شمشون" الرجل القوي الذي كان ضعيفا!

□

## طفل يؤسس أكبر مذهب ديني في العالم

معروف أن "مارتن لوثر" الألماني هو مؤسس المذهب البروتستانتي الذي تدين به أوروبا وأمريكا وأستراليا وأقطار أخرى في نواحي الكرة الأرضية، وكانت وفاته في يوم ١٨ فبراير سنة ١٥٤٦ وقد عرف في سن صغيرة بحدة الخيال وشدة الرعب مما وراء المادة. ومما ذكره عن نفسه في هذا الصدد أنه عندما كان يلعب بالبلي مع صديق له في المحال الخالية، وكان يرى الشياطين تظهر من الأرض وتسرق البلي.

ولقد كان هذا الرعب المتأصل في قلب لوثر مما وراء المادة، السبب الأساسي في نشأته الدينية. إذ اتفق أنه كان سائراً في أيام صباه مع أحد رفقائه بالمدرسة في أحد الحقول إذ نزلت عليهما صاعقة من السماء، ولما أفاق من غشيته وجد صديقه ميتاً؛ فاعتقد أن السماء غاضبة عليه، ونالت من نفسه هذه الكارثة إلى أبعد حد، حتى أنه لم يفكر وقتئذ إلا في الفرار من العالم إلى مكان ترضى عنه السماء ولا تحل فيه اللعنة، وسافر على الفور ليعيش في الدير.

ولكنه وإن كان سائراً على أتم شرائط العبادة لم يجد في نفسه الطمأنينة والتخلص من الرعب. فكان يعتقد أن السماء قد تصعقه وإن يكن في الدير. ولذلك لازم الصوم وأمعن في التنسك والزهد والتفقه في الدين إلى أقصى نهاية، مهما ناله من المشقة القاسية في هذا الجهاد. ولما

بلغ هذه الغاية وتفوق على كل كهنة الدير صارحهم ببطلان ما هم عاكفون عليه، وإن قام ينادي بمذهبه المشهور الذي كانت تعاليمه سببا في إثارة الحروب واضطهاد الشعوب وإقامة المذابح في كل مكان لإزهاق ما لا يحصى من الأرواح.

## دفن الأحياء.. حل ألغاز فقراء الهند

قرأنا كثيراً عما يفعله فقراء الهند من دفن الفقير حيا لمدة أيام أو أشهر ثم إخراجه حيا بعد ذلك، وقد أراد العلماء أن يتفهموا أسباب هذه الظاهرة من الوجهة العلمية لأنهم يعتقدون أنها لا يمكن أن تحدث على أساس طبيعي. ومن ذلك ما نشره أحد علماء فرنسا "بول هوز" وهو يقرر: أنه لا ريب في مسألة الدفن وإخراج الدفين، ولكنه يقول إن هذا العمل يوثق بمشاهدته وبعيد عن التشبع للوجهة الدينية.

فإن الهنود يعتقدون في قداسة هذا العمل ويأبون أن يقوموا به أمام الأجانب، وقد يدعو هذا إلى التساؤل ولكن ألا يحصل أن فقراء الهنود يدفنون الفقير أياماً أو أشهر ثم يخرجونه حياً، وأن الجواب الصريح على ذلك أن كل ما يقرأ في الكتب أو الصحف أو يسمع في هذا الشأن هو مجرد أوهام لا أساس لها. وهنا قد يعود المتسائل ثانياً سؤال آخر ليعرف كيف ذاعت الرحلات حيث يريد الرحالة أن يدونوا في كتاباتهم كل غريب فإذا أنعم النظر في هذه الكتب ظهرت الحقيقة وهي أنهم كلهم رواة بالسمع لا بالمشاهدة. وقد كان أول كتاب ذكر مسألة دفن الأحياء في الهند هو كتاب الضابط "أوزبورن" الإنكليزي في سنة ١٨٣٨. وكان ما ذكره في هذا الموضوع سلبياً، فإن الفقير "هاريداس" أبى أن يدعه يشترك في مراقبته أثناء الدفن أو عند استخراجه وقال بوجوب انتقاه من يشرفون على هذه العملية واتخاذهم جمعياً من الهنود.

والغريب أن هذه القصة التي ذكرها الضابط "أوزبورن" وإن تكن ضد فقراء الهنود ليست في صفهم قد اتخذها كل الكتاب والرحالة أساساً لكتابة آلاف من القصص مع المبالغة والتحوير، وإنه من الثابت الآن أن فقراء الهند لا يقومون بعملية الدفن، ويرويها الأحياء في هذا الوقت على أنها كانت من "بركات" أو أسرار الفقراء الماضيين الذين كانوا أقوى منهم في التسلط على أرواحهم وأقرب إلى الله بنفوسهم وتفانيهم في العبادة.

وإن ما يراه العلم في هذا الشأن هو أن تأجيل ظاهرات الحياة في الإنسان لاسيما التنفس لا يمكن أن يحصل لمدة طويلة من الزمن، لأن الإنسان يستحيل أن يعيش دون تنفس أكثر من بضع دقائق

ولكن قد يسأل القارئ عن أسرار ما يشاهد أحياناً في المسارح حيث يقوم بعض من يزعمون أنهم فقراء الهند أو على طريقتهم حيث يدفنون أنفسهم في صناديق مغلقة ويلبثون في داخلها نصف ساعة أو أكثر أو أقل.

وهنا يقول الدكتور "بول هوز" أنه قام بعدة تجارب علمية في هذا الشأن ليكشف أسرار أعمالهم وهو يقول: أن الصندوق قد تكون سعته على الأقل ١٠٠ جالونا من الهواء، وإنا إذا قدرنا ما يوجد فيها من الأكسجين وما يستهلك منه في التنفس في المرة الواحدة لوجدنا أن هذه الكعبة تكفي الشخص الذي يوضع في الصندوق في مدة من عشرة دقائق

إلى أربعين دقيقة، وذلك على حسب حكمه لنفسه في إطالة مدد التنفس أو تقصيرها..

ويقول "بول هوز" أنه صنع لنفسه صندوقاً وكان يغمره في الماء ليدل على أنه لا يوجد فيه أي منفذ للهواء. وقام بعدة تجارب رسمية أمام الكثيرين من الأطباء فوجد أنه يستطيع أن يلبث في داخل هذا الصندوق ٦٥ دقيقة و٧٥ دقيقة، وكانت أقصى مدة ٨٥ دقيقة. وذلك دون أن يلاحظ عليه أنه تأثر بالاختناق أو مبادئه. ويقول أن كل ما كان يعمله ليصل إلى هذه الغاية هي ألا يقوم أثناء نومه بأدنى حركة لأن ذلك يكلف الأعضاء مجهوداً، ولا بد للمجهود أن يحرق بعض الأكسجين.

ويقرر "بول هوز" أنه لم يعد نفسه لهذا العمل بأية طريقة غريبة أو مميزة طبيعية لا توجد في سواه من الناس، ويعتقد أن كل إنسان إذا قام ببعض المران في هذا الشأن يمكنه أن يفعل مثله ويصل إلى النتيجة التي وصل إليها. وعلى ذلك فإن ما يأتيه بعض الفقراء في الهند أو خارجها ليس إمداداً مما وراء الطبيعة أو معجزة من المعجزات، وإنما هو أمر عادي يمكن أن يفعله كل إنسان، فلعله لا يعد بعد الآن من الطلاسم والألغاز.

# فقراء الهند ـ حلوى الثعابين

ذكر الماجور "ب. س. وارن" في مذكراته عن أفظع وأغرب ما رآه في الهند، فجاء فيها: "منذ بضع سنوات خلت، كنت أنزل بيتاً منفرداً بإقليم وعر موحش من أقاليم الهند، وكان لدي من الخدم رجل هندوسي من أهالي "سيورات" وآخر ضخم الجثة وعر الجانب وسواهما، فاتفق في ذات صباح، وكنت جالساً على مقعد طويل في فرندا البيت، عقب رياضة طويلة، أن سمعت رجلا يهتف فأزعجني هتافه، وأطار أسراب النوم التي كانت تحوم حولي فلم يسعني سوى أن أطلب إليه أن ينصرف، ولكنه عاد يهتف ففتحت عيني فرأيت في أسفل الدرج رجلا هندوسيا، طويل القامة، هزيل الجسم يحمل على كتفه عصا في طرفها سلة كبيرة مدلاة، فنظرت إليه نظرة جامدة وقلت: "ماذا تريد يا رجل؟".. أجاب: "أنا يا سيدي رجل "حاوي" أسحر الثعابين وألعب بها"، والحق يقال أن نظرات "الحاوي" كانت تفيض مغناطيسية وإرادة غلابة قاهرة.. قال: "سيدي"؛ فصحت: "وماذا تريد مني؟.. اذهب واسحرها كما يحلو لك، ولا تزعجني بوقوفك هذا، لأني لا أريد أن أرى حيلك وألعابك" فقال الرجل في هدوء: "ما جئت لأعرض عليك، يا مولاي، مهاراتي وتسلطي علي الثعابين ولكن لأسألك، أن أخرج كل الثعابين التي تسكن بيتك". فقلت وأنا أضطجع على مقعدي: "بل أخرج نفسك من أرضي وانصرف".. إلا أنه لم يتحرك وطفق يصوب نحوي نظرات نافذة، فأغلقت عيني كأني لا أراه ولكن هل أغلقتها بفعل تلك النظرات؟..

هذا هو السؤال الذي جعلني حائراً؛ فكدت أميز من الغيظ وصحت: "أقول لك انصرف قبل أن تندم علي عنادك. فلست ممن يحفلون بألعاب "الحواة" والمشعوذين". فقال في برود: "أعطني خمس "روبيات" وأنا أطهر لك بيتك من الثعابين".

وكنت رجلاً واسع الصدر حليماً، فقلت: "ما هذا الذي تقوله يا رجل؟ أأنقدك خمس روبيات لتخرج من بيتي ثعابين غير موجودة! إني ما رأيت ثعباناً منذ اخترت هذا البيت مقاماً لي، ولا أحسبني على طويل إقامتي بالهند رأيت من تلك الحشرات أكثر من اثنتي عشرة".

فابتسم الرجل وقال: "ولكنك سترى كثيراً.. لك تحذيرك إياي، وبعد فأنا قليل الحفل بها". فعاد الشقي يقول: "ألا تريد أن تكسب راحتك بخمس روبيات، اشتر بها سلامتك واطمئنانك، بل اشتر بها حياتك".. فوثبت من مقعدي ونزلت الدرج على عجل ووقفت أمامه وصحت: "اذهب!". قلت ذلك وأشرت إلى الطريق بإصبعي؛ فما زاد على قوله: "ألا تقدر حياتك بخمس روبيات، لعلك تحسب نفسك لا تستأهل شيئاً"

ورأيت ألفاظه تحمل روح الوعيد، وعينيه ترسل معنى التهديد؛ فارتقيت الدرج وناديت خادمي السيوراتي، فلما وقف بين يدي قلت: "ارسل هذا الرجل بعيداً عن الجيرة واعلم أني لا أحب أن أراه مرة أخري في تلك الأنحاء". قلت ذلك وجلست على المقعد فركض الخادم نحوه وهو يصيح: "اذهب، انطلق من هنا، ألا تسمع؟"

ورأيت الخادم يتقدم من "الحاوي" ليقبض على ذراعه ويطرده، ولكنه ما وقف أمامه حتى طرح يده إلى جانبه، ووقف يرنو إليه في سكون النوم

## جيش للبيع للقضاء علي نابليون

من أغرب ما يذكره التاريخ مغامرات طريد أفاق ظهر على مسرح السياسة الأوروبية في عهد نابليون وطمح ببصره إلى مناهضته مناهضة الند للند، بل للقضاء عليه في ستة أسابيع، وكان يعرف باسم "البارون دي جيرامب"، وطارت شهرته في أنحاء أوروبا في ذلك العهد، وإن يكن أصبح الآن بين المغمورين، وذلك لأنه كما شبهه بعض المؤرخين كان كشهاب ثاقب لاح في الأفق شديد الضياء متوقد الشعلة ثم لم يلبث أن خبا سناه بسرعة.

وكان عهد الإنكليزية لأول مرة في أبريل سنة ١٨١٠ حيث ظهر شبحه الغريب في لندره. وقد كان يتعمد مطمح الأنظار وأعجوبة الجماهير، ولا سيما وهو وسيم الطلعة، عيناه ساحرتان كعيني النسر أشعتهما في قلوب الغواني أفعل من تأثير الكهرباء. وكان وقتذاك في الخامسة والثلاثين من عمره فظن أنه من ضباط الجيوش الأوروبية ولكن غرابة حلته جعلته يلوح لمن يراه كالضباط الخياليين في الروايات المسرحية. وكان يرى فوق صدره بين الأوسمة جمجمة من الفضة، وفي نطاقه سيف محلي بالجواهر. وأضف إلى مراء الرهيب الذي تفنن في إبداع غرابته أن كان جمهوري الصوت فإذا صاح به أشبه الرعد أو زئير الأسد.

أديم لندن استأجر قصراً فخماً في هايدبارك وفرشه بأفخم الأثاث الجدير بالملوك والأمراء (ولكن على الحساب). واتخذ عربة خاصة يجرها

أربعة من الجياد، وامتطاها كما يفعل النبلاء ليزور اللورد ولسيلي في وزارة الخارجية إنكلترا. ولماذا هذه الزيارة؟ ليفضي إلى اللورد بمشروعه المهم الذي سيقضي به على عظمة نابليون في خمسة أسابيع. وذلك بجيشه الجرار الذي يبلغ ٢٥,٠٠٠ جنديا، والذي يمكنه أن يجعله طوع إشارة ملك إنكلترا بكامل سلاحه وعدوه إذا دفع مبلغ ٥٠,٠٠٠ نقداً فتلطف وزير الخارجية معه في الحديث وأرسل سراً إلى الجواسيس الإنكليزية في "دول" بموافاته عن حقيقة هذا الرجل.

وقد كشفت الأبحاث السرية عن حقيقة هذا البطل المغامر فإذا هو رجل يهودي من بودابست عاصمة المجر وليس له من حطام الدنيا غير خداعه ودهائه وأنه تزوج أرملة بارون حقيقي فاغتصب لقبه. وإن حياته لحافلة بالمغامرات الجريئة التي يخرج بها عن حدود العقل لينال بعض الصيد، ومن ذلك أنه كان على وشك أن يدق عنقه في روما حيث تسلق إلى قمة كنيسة سانت بيترز ليكتب اسمه على الكرة النحاسية التي في أعلى البرج. وبارز أحد الحمقى المتهورين في نابلس تحت قمة بركان فيزوف بين النار والدخان الكثيف، كما توصل بدهائه إلى أن يخدع ملكة النمسا فاتخذته بين أخصاصها من رجال البلاط ولكنه اختلس منها مبلغاً كبيراً من المال ولاذ بالفرار.

وذهب بعد ذلك البارون جيرامب إلى قصر الملك في صقلية وخدع الحاشية والملكة كارولين بفكرة براقة وهي أنه يريد أن يغتال حياة نابليون، ولذلك كان يعلق صورة هذا الإمبراطور العاهل في غرفته ويصوب إليها في

كل يوم طلقات غدارته. ومهما يكن من عدم اعتقاد الملكة كارولين بأن نابليون لا يمكن أن يكون فريسة لهذا الدعي، فإنها وإن تكن ناهزت الستين من عمرها إلا أنها كانت إزاء هذا المغامر الفتان كشأنها في جميع أدوار حياتها السابقة المحبة الرامقة.

وساعده على إرضاخها لإرادته بسرعة نظراته الساحرة؛ فكان على الدوام إلى جانبها في كل مكان، فمن غرفة العرش إلى العربة المقفلة إلى مقصورة المسرح إلى كل اجتماع أو خلوة، ولكن الرعية لم تدع البارون والملكة في هناءتهما وأخذت عاصفة الفضيحة تهب في كل مكان، حتى إذا رأى البارون شدتها الهوجاء زعم أن ملك إنكلترا استقدمه إلى لندن ليستمد منه الرأي في بعض المشاكل السياسية.

ولما اختفى شبحه من صقلية ابتهجت برحيله الأميرة إميليه ابنه الملكة كارولين لأنها كانت مهذبة وروعة، وقد أصبحت فيما بعد ملكة فرنسا حيث تزوجت دوق أورليانس. وكان أخوف ما تخافه أن ترى البارون جيرامب مرة أخرى، ولكن القدر أبى إلا أن يجمع بينهما.

وسنرى ما تم في هذا اللقاء الغريب ولنعد إلى اللورد وليسلي وزير خارجية إنكلترا فإنه عندما تسلم ما رفع إليه من التقارير عن البارون جيرامب أمره أن يرحل عن إنكلترا في الحال بغير ما ضجة ولكن البطل المغوار أبى أن يرحل بسلام، وأنذر وهدد وأعلن الحرب على الإنكليز في دورهم لأن فرسانه البواسل لا بد واصلون في أقرب فرصة. وأنه لا يمكن

أن يهادن ويسافر بدون حرب إلا إذا أعطى كل ما طلبه من المال الذي صرفه على جيشه لمساعدة إنكلترا، واحتمى في القصر الذي نزل فيه وأوصد أبوابه بعد أن طرد من فيه من الخدم وكتب على لوحة كبيرة جعلها في قمته "بيتي هو قلعتي"

تجمعت الجماهير حول القصر، وكان البارون يطل عليهم من شرفاته ونوافذه مرسلا في الجو بصوته الجمهوري صخب التهديد والوعيد، وإن رجاله الأبطال سيفتكون بالإنكليز الفتك الذريع ويأخذون نساءهم وأموالهم بين الغنائم والأسلاب، وأنه إذا فوجئ قبل وصول جيشه لإنقاذه سينسف القصر وما فيه بالقنابل التي عنده.

ولكن الشرطة الإنكليزية لم تعبأ بوعيده، وكانت تريد كذلك ألا يحطم القصر والأثاث فعمد بعض رجال البوليس إلى إلقاء القبض عليه بالحيلة. فانتظروا ريثما انتصف الليل وتسللوا من الحديقة إلى الباب الخلفي للقصر وحطموه بالمعاول بسرعة وفاجأوا البارون في الداخل قبل أن تصل النار الموقدة في العويل إلى محل القنابل، وقد استطاعوا بكثرتهم أن يلقوا عليه درساً في أروع أنواع الهزيمة. ولما صار في أيديهم كالحمل المحطم كبلوه بالأغلال والأصفاد وحملته سفينة إنكليزية في عرض البحر إلى أن ألقته على شاطئ (دانمرك).. ولما كانت (الدانمرك) حليفة فرنسا في ذلك العهد رأى البارون أن يمثل فيها دوراً يتفق مع منهجها السياسي فاقترح أن يبني على حسابه الخاص على شاطئ الدانمرك أثرا تذكاريا يخلد العامة الأبدي للإنكليزية باسم "جراند إنجليزية"، وأعلن أنه قد جعل سيفه وأمواله الطائلة

خدمة "نابليون" أعظم بطل في العالم. ورفع إلى الإمبراطور "نابليون" بالتوبة والاستغفار من عظيم ذنبه مكتوبا بأحد عشرة لغة، وذيّله بصورته وجاث على ركبته أمام عرش فرنسا.

ولكن إنجلترا كانت قد سبقت المتوسل المخادع بنشر المعلومات التفصيلية عما قام به من المغامرات ووسائل الاحتياج فلم يك جواب "نابليون" عليه إلا إصدار أمره بسرعة بإلقاء القبض عليه في الحال، ومن ثمة نقل إلى حيث أدخل في مستشفى الأمراض (البيمارستان). فنال من "البارون برامب" أن يرى نفسه معتقلا بينا، وبعد أن كان ينزل على التجلية في قصور الملك؛ فأشعل النار في الغرفة التي نزل بها فلم تطفأ حتى في عدة غرف من هذا المستشفى.. نقل إلى السجن حيث وضع في محل ضيق مثل قفص الحيوانات المتوحشة..

لما سقط "نابليون" أخرج "البارون جيرامب" من معتقله، ولكنه ما لبث عنده البوليس بالاعتقال لاشتغاله به. ولما كان بارعاً في الاحتيال والتلاعب بالعقول فقد زعم أنه لم يكن مضطرا إلى السرقة ولكن خدمة، وضرب على وتر حساس أمال إليه الكنيسة حيث أذاع أنه قد نوى وهو في السجن أنه إذا مد في حياته من بعد اعتقاله فأول ما يفعله أن يستعمل في سلب أموال الأمراء لأنهم غير مؤمنين بها لا ليستولي عليها ولكن ليقدمها للكنيسة. وقد نجحت هذه الحيلة وأيدها رجال الدين ولكن الشرطة منعته من أن يبر بهذا النذر فاستثمرته الكنيسة في أن يجمع لها الإحسان من بيوت السراة.

وقد نجح في التسول نجاحاً مدهشاً حيث كان يلاقى في كل القصور بالابتهاج والترحيب لما كان يرويه عن نفسه من غريب الحوادث والمغامرات، ولأحاديثه العذبة المعسولة بكل لغات أوروبا، وكان يجيد الغناء والعزف على البيانو إلى حد بعيد حتى أنه كان يبكي سامعيه بتفننه في أشجى الألحان والأنغام.

وقد اشتهر "البارون دي جيرامب" بين الشعب الفرنسي ورجال الدين باسم "الأخ جوزيف" وعرف بالتوبة الثابتة والزهد الزائد ورحل في سنة ١٨٣٠ إلى بيت المقدس ودون عن رحلته كتابا ممتعاً. وحج بعد ذلك إلى روما حيث حظي بلقاء البابا واسترعى فؤاده بأفانين حديثه حتى أن البابا لشدة تأثره بأقواله العذبة قال له ولمن حوله: "ما أحرى "الأخ جوزيف" بأن يكون في مكان البابا نفسه". وسلمه عند رحيله إلى فرنسا شمعدانا من الذهب ليقدمه هدية من البابا إلى ملك فرنسا..

ولشد ما دهشت الملكة عندما مثل بين يديها "البارون دي جيرامب" باسم الأخ "جوزيف" في ثيابه الدينية الفضفاضة وذقنه الطويلة المرسلة إلى ما دون صدره، وذلك لينفحها ببركة البابا وبشمعدانه الذهبي، وقد صور لها من الذهول والدهشة لهذا المنظر أنها لا ترى هذا القس الغريب في اليقظة، ولكنها ترى بعض مشاهد الأحلام العجيبة التي تداعب الفكر أثناء النوم؛ فهي تعلم من خبث هذا القس أكثر مما يعرفه الناس، وهل نسيت ما كان بينها وبينه من المناضلات وأشد مواقف العداء عند ما تسلط بخداعه ووسائله الشيطانية إلى السقوط بأمها ملكة صقلية إلى أحط

دركات الرذيلة. ولكنها كانت مضطرة إلى ستر موقفها على الرغم من شدة تألمها من تلك الحقيقة المرة.

وقد لبث في فرنسا في مقدمة رجال الدين إلى أن رحل عنها في سنة ١٨٤٨ إلى روما حيث أقام على النسك والعبارة إلى أن وافاه الحمام، ودفنت رفاته بين أعلام القديسين، وطويت بذلك صفحات من أغرب ما رواه التاريخ.

## النوم المغناطيسي؟

ورفع "الحاوي" طرفه وصوبه لخادمي، فتمايل الأخير كالنشوان، وأرسل صرخة منخفضة قصيرة وكر يثب على الدرج وثباً، ثم وقف خلف مقعدي يلهث وفي الواقع أن المنظر كان مسلياً، إلا أني لم أرتح إليه فقلت للحاوي: "أراك يا صاحبي تقلق راحتي، وتثير المتاعب في هذا المكان الهادئ، ولكنك ستندم، ولات ساعة ندم!

قلت ذلك ثم التفت إلى السيوراتي المرتعد فرقاً وقلت: "ادع روشان خان!"

فطار الخادم كالسهم المارق وغاب داخل البيت، وروشان خان خادمي الجبار المارد

قال "الحاوي": قبلت بروبيتين، فاشتر حياتك بهما!

وأقبل المارد يهز الأرض هزاً، ووقف أمامي.

فقلت: "اطرد هذا الرجل من هنا، اطرده طرداً!"

فراح روشان نحو الحاوي كصخرة قذفها سيل جارف، وحسبته سيلقي به بعيداً ويريحني من وجهة المنكر للأبد. ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث! صوب إليه الرجل نظرات هائلة فوقف أمامه كالهضم لا يأتي بحركة ما، ثم نطق بكلمة كالتي قذفها في وجه السيوارتي ورأيت الأمر فوق ما

أحتمله، فنهضت. فرفع إلي طرفه وقال في سخرية وتهكم: روبية واحدة تقف بينك وبين الرعب والفزع، روبية واحدة لا أكثر ولا أقل، فما تحرك لساني بكلمة فصاح: كلا! إذن فأنت الجاني على نفسك، وعلى رأسك ستحل المخاوف! قال ذلك وسار بقدم ثابتة لا ينظر يمنة أو يسرة أو خلفه..

قلت للجبار العملاق: "لماذا لم تصدع بما أمرتك به؟"، فرفع إلى طرفه كمن يستيقظ من سبات عميق ولم يتكلم، فكررت السؤال، ولما رأيته مذهولاً أمرته بالانصراف

ودخلت البيت إذ رأيت شيئاً يقع من فوقها على رأسي ويتدلى على كتفي، ثم يتكور فإذا هو حول عنقي، وإذا هو ثعبان!!.. فرفعت يدي وجذبته جذبة قوية وطرحته على الأرض قبل أن يمسني بسوء، وضغطت عليه بقدمي اليمنى، وكانت قدمي على أسفل رأسه فلم يزد على الاضطراب الفحيح، ولما رأيت نفسي بعيداً عن أذاه ملت بكل جسمي على قدمي، وبعد فترة ليست بالقصيرة، وطرت من المكان، ودخلت في حجرة مغلقة النوافذ مرخية الأستار.

وكانت الحجرة مظلمة، فأحسست بخوف بداخلي، ورأيتني لأول مرة في حياتي الظلمة، ماذا طرأ علي، وأي خطب دهيت به؟.. واضطجعت على مقعد وجعلت أفكر فيما مر بي، ولكني ما جلست قليلا حتى نهضت كالمذعور، وأفلت صرخة قصيرة من حنجرتي.. لقد شعرت بشيء بارد

ثقيل طري فوق رأسي! فأشعلت عود كبريت فلم أر شيئاً في مكان رأسي من المقعد فجلست ثانية.. ولكن ما هذا؟.. سمعت دبيباً على الحصير فما خامرني شك أن ثعباناً يزحف على كثب مني

والغريب أن خوفي لم يكن مصدره الثعابين بل رعب داخلي لا أعرف مصدره ومأتاه، ودار بذهني خاطر غريب قلت: هل رأيت ثعباناً حقيقة، أم الدهر غلبني فأنا أرى صوراً خيالية، وكانت آلة التصوير معلقة بجانبي على الجدار فتناولتها وأخرجتها من كيسها وصوبتها نحو الثعبان الزاحف، وأخذت صورة، ثم ضغطت على الزر الذي يضع فيلماً جديداً وفعلت ذلك بدافع العادة.

ثم ترقبت على عصاي، وسرت نحو الثعبان الذي رفع رأسه عند قدومي واستعد للنزال، ولكن عاجلته بضربة حطمت عنقه

وفي اليوم الثاني مضيت، وخلفي "روشان جان" إلى ملعب الجولف فلم أر إلا رجلاً واحداً هناك، وكنت أجهل اسمه، مع أني كثيراً ما كنت أراه، وإني لأتناول كرتي إذ رأيت تحتها أصغر ثعبان شاهدته، ولما هممت بقتله سرق بسرعة فائقة. وعدت إلى بيتي مهموما منقبض الصدر، ومرت لي ليلة هائلة لا أحسب أني قاسيت مثلها، ولم أقضها مسهداً بل في نوم مرعب، أخذني فيها كابوس منهك

كنت في حالة لا أنا فيها بالنائم أو اليقظان فسمعت دبيب ثعبان، فوثبت من الفراش، ولم أفكر في أن قدمي عاريتين، فرأيت ثعبانا ضخماً

يزحف بجانب الحائط، وكان باب حجرتي منفرجاً قليلاُ، وكأن خاطراً مشتركاً سرى في نفسي ونفس الثعبان إذ تقدم كل منا نحو الباب بطلبي النجاة، وتقدمني، وإنه ليمر إذ أوصد الباب على وسطه فيضطرب جزؤه الذي بالحجرة اضطراباً عظيماً.. وملت وجعلت أسحبه شيئاً فشيئاً إلى داخل الغرفة حتى قبضت على مؤخر رأسه بيد حديدية وأنشأت أضغط علي عنقه بإبهامي، وناديت أطلب خادماً فجاء فأمرته أن يحضر آلة التصوير وخرجنا إلى النور وأنا أجر خلفي الثعبان الذي طوله سبعة أقدام، وقلت للخادم خذ صورته، إلا أن الحيوان مات، ومنذ ذاك اليوم رفعت عني اللعنة فما رأيت ثعباناً طوال المدة التي قضيتها بالهند.

## التشاؤم والتفاؤل.. عند الفرنسيين والإنجليز

من ألطف الأبحاث وأكثرها إمتاعاً، ذلك البحث الذي طرقه أحد علماء النفس من الفرنسيين، وتناول فيه عادة التشاؤم والتطير، وما فيها من الغرائب التي يأباها العقل؛ فهو يرى أن هذه الخرافات لم تنج منها أمة في الأزمنة الغابرة أو في العصر الحاضر. وأن تأصل عادة التشاؤم والتفاؤل أو قلة ظهورها لا علاقة لها بحالة الشعوب ومبلغ رقيها وتقدمها في الحضارة.

وذكر أن فرنسا، وهي البلد العريق في المدينة لا يزال التشاؤم والتفاؤل متأصلين في نفوس كثير من سكانها، ثم أورد أمثلة مضحكة من هذه العادات الغريبة التي يستنكرها العقل السليم؛ فمن هذه العادات أن سكان مقاطعة "بريتانيا" يتشاءمون إذا رأوا في الصباح امرأة عجوزاً لا تزال على رأسها العصابة التي نامت بها. وأن من علامات التفاؤل في مقاطعة "برجونيا" أن تدس في يد سائل قطعة من النقود قبل أن يبدأ باستجدائك وأن تسقط من يدك من غير قصد كأس جديدة لم يشرب بها أحد من قبلك.

ومن عادات بعض سكان جنوب فرنسا أنهم لأجل طرد الحيوانات المؤذية ودفع ضررها عن حقولهم، يخرجون ليلاً فيذهبون إلى هذه الحقول حفاة، ثم يضعون في أطرافها رقى وتعاويذ خاصة.

وقال: ولم يقتصر الأمر على فرنسا؛ فإن إنجلترا من العادات ما هو أدعى للاستغراب، فمن ذلك أن ثوب العرس إذا ترك فيه _ سهواً _ بعض الدبابيس كان ذلك عند العروس نذيراً بالخراب. ومنها أيضاً أن العروس إذا أرادت أن تضمن في حياتها المستقبلية عدم تحكم زوجها واستبداده بالأمور؛ عمدت إلى حيلة غريبة وهي أنه حين يضع في إصبعها خاتم الخطوبة تعطل دخول إصبعها في الخاتم.

ومما يقوله هذا العالم الفرنسي أن معظم العادات التي ترجع إلى التفاؤل والتشاؤم _ إن لم تكن كلها _ ينتهي إلى أسباب تاريخية وحوادث وقعت في الأزمنة الماضية؛ فورث الأبناء عن الآباء ما اعتقدوه عنها.

ومن الأمثلة التي أوردها تأييداً لرأيه تشاؤم الفرنسيين من أكل الخبز المرتد إلى المخبز، وذلك أن الخبازين كانوا يحجزون للجلادين خبزهم الخاص بهم ويضعونه في مكان منعزل فإذا أتم العامل صنعه أخذه صاحب المخبز ووضعه في مكانه الخاص ريثما يأتي الجلاد فيأخذه، وكان هذا الخبز يسمى "الخبز المرتد".

## شعب لا يعلم شيئاً عن الحرب العالمية

اكتشفت إحدى البعثات العالمية في سيبيريا قبائل لم تكن القرى التي تسكنها والأراضي التي تعيش فيها معروفة في الخرائط الجغرافية، وقد ذكر أعضاء البعثة عن هذه القبائل أن أفرادها وثنيون يعبدون الشمس والقمر. وأنهم يقدمون للنهر الذي يجري في أرضهم قرابين من جلود الحيوانات ليضمنوا رضاءه عنهم فلا يفيض عليهم ماؤه أو يجف. أما الهدايا والقرابين التي يقدمونها فإنهم يجمعونها خلال أشهر السنة في مكان يسمونه "المكان المقدس" حتى إذا جاء اليوم المحدد لتقديم هذه القرابين ألقوها في النهر.

ومما يقوله هؤلاء الرحالون عن أفراد هذه القبائل، أنهم أسعد البشر وأنعمهم بالاً؛ فقد استطاعوا أن يحدثوهم فعلموا منهم أنهم لا يدرون شيئاً عن الحرب العالمية ولا ما جرى في الروسيا ـ المجاورة لهم ـ من الحوادث والانقلابات.

### نبوءة بحرب عامة

من النبوءات المزعجة التي تبعث على الضحك، أن متنبئاً أعلن في فرنسا، أنه لا يمضي شهر سبتمبر المقبل حتى تشتعل نار حرب عامة تشترك فيها جميع الدول، على أن نبوءة هذا المتنبئ الفرنسي وإن كانت قد أثارت اهتمام الجماهير إلا أنها قوبلت بالسخرية والاستهزاء.

## يذبحون الرجال والنساء ليصحبوا الملوك في قبورهم

يرى المؤرخون وعلماء الآثار أن حضارة الكلدانيين في بلاد ما بين النهرين كانت من أسمى حضارات العصور الماضية وأرفعها شأناً، ولكن بعثة من العلماء الإنجليز، قامت أخيراً في بلاد العراق باكتشافات هائلة تدل على أن الحضارة الكلدانية لم تخل من عادات وحشية، وأن هذه العادات راجعة إلى المعتقدات والشعائر الدينية التي كانت سائدة في أيامهم؛ فقد اكتشف رجال هذه البعثة في المدينة التي نشأ فيها إبراهيم الخليل قبر ملك يعود عهده إلى خمسة آلاف سنة؛ فلما توسعوا في التنقيب والبحث داخل القبر وجدوا فيه كثيراً من أدوات الزينة والأمتعة التي كان قدماء الكلدانيين يظنون أنهم سيحتاجون إليها حين ترد إليهم الحياة في قبورهم.

ومن الأدلة التي لم تبق شكاً عند رجال هذه البعثة في أن الكلدانين إذا مات أحد ملوكهم كانوا يذبحون عدداً من الرجال والنساء والعبيد ليصحبوا الملك في موته ويؤنسونه في قبره أنهم عثروا في مدخل القبر على تسع وأربعين جثة بعضها جثث نساء يظن أنها كانت من حاشية الملك، ولا يزال حلي أولئك النساء كالأقراط والخواتم والأمشاط المطعمة بالذهب محفوظاً بجانب جثثهن، أما الجثث الأخرى فيرجحون أنها جثث إماء وعبيد.

## طفل يلعب على آلة موسيقية بعد موته

يقيم المستر "هربرت دير" مع زوجته في بلدة "لانهلليث" مقاطعة "مونموتشير" والزوجان يعتقدان أن روح ابنهما "ليسيل" الذي مات

بالمستشفى تزور البيت دائماً، ويقول المستر "هربرت" إن أحد المشتغلين بعلم الأرواح أخبره عقب موت ابنه، أنه يستطيع "أي الوالد" أن يتفاهم مع ابنه المتوفى بواسطة "وسيط" وليكن ولده الثاني "هربرت" البالغ من العمر سبع عشرة سنة.

ويقول المستر "هربرت" أيضاً: وقد لاحظنا أن الروح لا تثبت وجودها بالمنزل إلا إذا كان ولدي "هربرت" حاضراً؛ ففي بعض الأحايين نسمع وقع خطوات على الدرج، ونجد الأبواب تفتح وتغلق، وقد نرى مقعداً يرتفع عن الأرض، أو نسمع أنغاماً تخرج من آلة موسيقية. كانت لولدنا ليسيل وارتفعت مرة مائدة لدينا وجذبت صليباً كان موضوعاً فوق رف الموقدة، وكثيراً ما تختفي ساعة زوجتي من جيبها ثم ترد إليها.

### يعبدون الدب والنار

جزيرة سخالين واقعة على الضفة الشرقية من البوغاز الذي يفصل سيبريا الشرقية، ويصل ما بين بحر أوكوتسك ومياه اليابان. أما جوها فمن أشد الأجواء برداً إذ تهبط درجة الحرارة في شهر يناير إلى ٣٧ تحت الصفر، وليس يعنينا هنا الكلام عن جوها وموقعها الجغرافي، ولكن الذي نريد أن نقوله، هو أن سكان هذه الجزيرة _ وإن كان بعضهم يرجع إلى الجنس الأبيض _ لا يزالون حريصين على ما ورثوه عن آبائهم من معتقدات خرافية؛ فهم يعبدون حتى الآن القبة السماوية ويعتقدون أنها رمز لإله آلهة السموات، وإلى جانب ذلك يعبدون النار ويقدسونها، ويبلغ من

تقديسهم إياها أنهم لا ينقلونها من بيت إلى بيت إذ يرون في ذلك زراية بقدرها ومساساً بقدسيتها.

وثالث آلهتهم هو الدب الذي يكثر وجوده في هذه المنطقة الباردة فهم يقولون إن إله السماء تقمصه. ومن الغريب أنهم ينحرون هذا الإله تقرباً إلى الروح التي تتقمصه. فإذا جاء الشتاء واشتدت وطأة البرد ذهب أفراد منهم إلى حيث يختبئ الدب ووضعوا في عنقه حبلاً قوياً، وجروه إلى مساكنهم. وهناك يذبحونه بعد أن يقيموا حفلة عامة تكريماً له.

## هل ينتهي العالم قريباً؟!

هذا سؤال يرد عليه بالإيجاب، جماعة أنصار التمسك بالإنجيل من رجال الدين؛ فهم يعقدون مؤتمرات سنوية في مدن مختلفة من أوربا ثم يعقدون كل أربع سنوات مؤتمراً عاماً في أمريكا، وعلى أثر اجتماع أخير لهم، جاهر بعضهم بأن العالم يوشك أن ينتهي فيختل نظام الفلك وتسقط السماء على الأرض فتهلك جميع المخلوقات.

أما الأدلة على ذلك فهي حاضرة عنده لا تحتمل بحثاً ولا جدالاً، وهذه الأدلة أو العلامات ثلاث: تساقط الشهب، وحدوث الزلازل، وزيادة نفوذ المال وسلطانه على النفوس! وهذه كلها أدلة مرئية مشاهدة، فلماذا لا ينتهي العالم وتزول المخلوقات؟!.. ولماذا لا نصدق هؤلاء المتنبئين؟!

## شعوب العالم.. كيف تتزوج؟

تعتبر معظم الشعوب أن الأبوة تقتضي مسئولية الأب عن كل من تنجبهم زوجته من أولاد، ولذلك تهتم الجماعة باختيار الزوجة اهتماماً كبيراً.. ومع أن الأب الشرعي للطفل عادة هو أبوه الفعلي الذي يرتبط معه برابطة الدم، إلا أن أهالي جزر تروبرياند _ في غينيا الجديدة _ يرون أن أي رجل يقبل أن يكفل الطفل أمام المجتمع يصبح أباً له.. وهناك شعوب لا ترضى بأن يقتصر الرجل على زوجة واحدة، بل منها ما يسمح له بأن يتزوج من أكثر من واحدة.. وهناك فئة نادرة تبيح لعدة رجال أن يتقاسموا فيما بينهم زوجة واحدة.. وفي ظروف أندر، نجد أن عدداً من الرجال يشتركون معاً في حيازة عدد من النساء، وهو ما يسمونه بـ "الزواج الجماعي"!

### الزوجة الواحدة وتعدد الزوجات

والاقتصار على زوجة واحدة هو الشائع لدى أكثر الشعوب الراقية، بل والشعوب البدائية أيضاً؛ ففي القبائل المتوحشة التي تعيش في غابات الكونغو، ومجاهل آسيا، وجزر إندمانيس، وعشائر "أيتا" في جزر الفلبين، وقبائل "الكوبو" في سومطرا، و"السيمانج" في الملايو، يقتصر الرجل على زوجة واحدة، وتمتاز الروابط العائلية بتوثيق عجيب، وكثيراً ما يكون الاقتصار على زوجة واحدة أمراً غير إجباري..

فالزوج عند الاسكيمو _ مثلاً _ يتزوج عادة من واحدة، ولكنه إذا حصل على أكثر من المستوى العادي من متاع الدنيا، أو شاء أن يرفع من قدر نفسه في المجتمع، تزوج من اثنتين أو أكثر!..

وكذلك يقتصر الرجل من قبائل "البوشمن" _ في صحراء "كلهاري" الأسترالية _ على زوجة واحدة، ولكن بعضهم يلجأ إلى تعدد الزوجات.. والزواج من واحدة فقط هو الشائع بين أهالي أستراليا الأصليين، ولكن الرجل إذا كبر في السن أو المقام، حق له أن يتزوج مرة أخرى، لاسيما إذا كانت زوجته الأولى قد اكتهلت، فتقوم الزوجة الجديدة بتدبير القوت لها وله! "كما ترى في الصورة المقابلة".

وينتشر تعدد الزوجات بين كثير من الشعوب التي تعيش على الرعي والزراعة؛ فلدى أهالي المراعي يعني الرجل بقطعان الماشية والأغنام، بينما تجمع النساء النباتات التي تقتات عليها الأسرة، أو يعملن لكسب القوت.. ولعل تعدد الزوجات في هذه المجتمعات راجع إلى أن الرجل هو عائل الأسرة، وهو المسيطر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع.. ولما كانت الماشية هي المورد الرئيسي للقوت، لذلك كان من حقه إذا ما تكاثرت قطعانه أن يزيد من عدد زوجاته!.. كما أن إغاراته على المجتمعات الزراعية المجاورة، لتتيح له أسباباً تزيد من عدد نسائه..

مع ذلك نجد أن قبائل الطوارق _ في الصحراء الكبرى بشمال إفريقيا _ تفضل أن يقتصر الرجل على زوجة واحدة، مع أن الإسلام يبيح له تعدد الزوجات..

## الزوجة الواحدة.. مهانة!

وفي المجتمعات الزراعية، نجد أن الحاجة إلى زيادة الأيدي العاملة في الأرض، تحدو بالرجل إلى الإكثار من الزوجات.. وفي قبائل "إيبو" بنيجيريا، تشعر المرأة بذلة ومهانة إذا اقتصر زوجها عليها، فإن هذا لا يعني سوى أنه فقير، ومن العجيب أن النساء هناك يحبذن تعدد الزوجات! وكلما ازداد عدد الزوجات ارتفع مقام الرجل في المجتمع؛ لأن الزوجات يمثلن رأس مال عاملا يستثمره الزوج وهو مطمئن إلى أنه لن يعود عليه بخسارة، بيد أن الزوجة الأولى تحظى بمكانة خاصة، فتستأثر بالاحترام العام، وبكل الامتيازات القانونية والشرعية، ويكون لها النفوذ الأكبر في شئون الأسرة، وتستمتع وحدها بكل ما يناله زوجها من إكرام في المجتمع، وإن لم تعد هي الحبيبة إليه!

ويستشير الزوج هناك عادة زوجته الأولى قبل أن يتزوج بثانية، وهو لا يقدم في الغالب على ذلك إلا بعد مولد الابن الأول، إذ تحرم عادات القبيلة قيام أيه علاقات جنسية بين الزوجين بعد مولد الطفل إلا إذا انقضت على مولده ثلاث سنوات!

وللرجل في قبائل "اللانجو" _ في أوغندا _ الحق في أن يتزوج ممن شاء من النساء ما دامت موارده تسمح له، فإن عدد من النساء يزيد هناك على عدد الرجال بمراحل.. وكما في قبائل "إيبو" يحرم على الزوجين أن يمارسا العلاقات الجنسية ثلاث سنوات عقب مولد أي طفل لهما..

ومن الخرافات الشائعة أن تعدد الزوجات يشقي النساء، لما يترتب عليه من نشوب الغيرة بينهن، ولكن الواقع يثبت أن الزوجات يعشن معاً في وئام، متعاونات في أعمال البيت، بل إنهن كثيراً ما يتضامنّ ضد الزوج، أو يتحالفن للتستر على علاقاتهن الغرامية، كما يحدث بين نساء قبائل "وابينا" في تنجانيقا!

ولما كان الإسلام يبيح للرجل أن يتزوج من أربع نساء، لذلك نجد البدو في الصحارى العربية، وفي سهول آسيا، وفي صحاري "القازاق"، و"الكاملوك" و"القرغيز"، يقبلون على تعدد الزوجات، اللهم إلا إذا أقعدهم الفقر.. ولا يزال الزواج بأكثر من واحدة شائعاً في الشرق الإسلامي، وإن كانت المجتمعات المتحضرة والمثقفة فيه قد تحولت عن هذه العادة، ورأت أن القرآن وإن أباح الزواج من أربع، إلا أنه قيد ذلك بوجوب المساواة والعدل بينهن، وهو ما يشق تحقيقه.. وتنتشر هذه الروح قدماً في المجتمعات الإسلامية، كما أنها سرت إلى القبائل والعشائر الصحراوية في آسيا، وفرضت في بعض المناطق فرضاً، كما في عشائر "القرغيز" إذ أصدرت الحكومة السوفييتية قانوناً بتحريم الزواج بأكثر من واحدة!

ومع أنه لم يكن من حق الرجل في الصين أن يتزوج إلا من واحدة، إلا أنه كان حراً في أن يضم إلى بيته ما شاء من المحظيات.. وقد أسئ فهم هذا اللون من تعدد القرينات، فهو نتيجة منطقية لما كان يتطلبه نظام الأسرة في الصين؛ فقد كان الرجل يؤمن بأن أرواح أجداده الأقدمين تطالبه

بأن ينجب أكبر عدد ممكن من الأبناء الذكور، فكان إذا عجزت زوجته عن تحقيق ذلك، يلجأ إلى الإكثار من المحظيات.. وكان هذا النظام يؤدي ما يؤديه اليوم نظام الطلاق الحديث في الغرب.. كان اعترافاً بفشل الزواج.. ولكنه كان أكثر حكمة، إذ كان يتجنب ما يؤدي إليه الطلاق من تصدع وحدة الأسرة.. وكانت الزوجة تظل محتلة مكانتها كشريكة لزوجها في رئاسة الأسرة، مهما كانت قد فقدت الأثرة لديه..

ولقد صدر قانون لتنظيم الزواج في الصين في سنة ١٩٣١، ونص فيه على أن اتخاذ المحظيات أمر غير مشروع، وإن في وسع الزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها متهمة إياه بأنه "خان الزوجية" إذا ما اتخذ لنفسه خليلة.. ومع ذاك، فإن التقاليد القديمة لم تنمح بعد، بل أن من النساء من استنكرت هذا التطور، فما كان ليهمهن في شيء أن يتخذ أزواجهن من شاءوا من المحظيات، طالما كانت هؤلاء يلزمن حدودهن في البيت والأسرة، ويقبلن أن يعاملن كخادمات.. ومن ثم فلا يزال بين الصينيين من يتخذون محظيات، برغم أنف القانون!

### تعدد الأزواج!

وتعدد الأزواج محدود في العالم، ويكاد يقتصر على التبت وبعض أطراف الهند الواقعة عند جبال هملايا.. ولعل منشأه أن من الرجال من يكونون بالغي الفقر بحيث لا يقوى الواحد منهم على أن يعول زوجة، أو أن يكون عدد النساء في المجتمع أقل بكثير من عدد الرجال، أو يكون هؤلاء دائمي الترحال، طويلي الغياب في رحلاتهم بحيث يحتاج الأمر إلى من

يعول النساء ويرعاهن، ومن ثم يشترك كل عدد منهم في حيازة زوجة واحدة!

والغالب أن يشترك الإخوة في زوجة، ويكون أكبرهم عادة صاحب الأغلبية، فلا يقترب من يصغرونه من الزوجة إلا في غيابه، على أنه إذا تصادف إن كان أحد الأخوة _ مهما كان تربيته بينهم من حيث السن _ يقوم برحلات طويلة من أجل القوت، فإنه يؤثر بحق الانفراد وحده بالزوجة طيلة مدة إقامته في زياراته القصيرة لأهله.. وقد جرت العادة أن الزوجة تنفرد بحجرة، بينما يقيم الإخوة الأزواج معاً في حجرة.. فإذا زار أحدهم حجرة الزوجة، وضع قبعته فوق حذائيه عند باها، فلا يحق لأي واحد من إخوته أن يدخل الحجرة حتى ترفع هذه الإشارة.. وينتشر تعدد الأزواج لدى قبائل "تودا" التي تعيش على الرعي في تلال "نيلجيري" بالهند.. وتعتبر الفتاة بمجرد زواجها من رجل، زوجة لجميع إخوته، حتى اللاحقين منهم! على أن الأمر يصبح معقداً إذا لم يكن الأزواج إخوة.. فإذ ذاك لا يقيمون في قرية واحدة، بل في قرى متعددة، وتقوم الزوجة بزيارتهم بالدور!

وأعجب ما في هذه الزيجات، هي الطريقة التي تتبع لتعيين والد الأبناء الذين تنجبهم الزوجة المشتركة، إذ يجتمع الأزواج ويقررون فيما بينهم من الذي يكون أباً، ثم يقام حفل في إحدى أمسيات الشهر السابع للحمل، فتأوي الزوجة إلى الغابات القريبة من القرية، وفي صحبتها الزوج "الأب" الذي يحفر ثغرة مثلثة في جذع إحدى الأشجار، ويضع فيها مصباحاً ذا فتيل، ثم يصنع من فروع الشجر والأعشاب قوساً وسهماً، رمزاً

للأبوة.. فإذا ما خبا ضوء الفتيل وانطفأ، عاد الأهل إلى القرية، ويبقى الزوجان ليتناولا الطعام بجوار الشجرة، ثم يرجع الأهل، فيقضي الجميع ليلتهم في الغابة!

وكانت قبائل "تودا" تئد البنات عند مولدهن لتحتفظ بالنسبة بين الإناث والذكور، وبالتالي بتعدد الأزواج، حتى جاء الإنجليز فحاولوا بأساليبهم تحريم هذا الوضع، ومنعوا ذلك التعدد، وكانت النتيجة أن أصبح رجال الأسرة الواحدة يتزوجون عدداً من النساء، ثم يعتبرونهن زوجات مشتركات بينهم على السواء..

### الزمالة في الزوجات!

وليس ثمة نظام معين للزواج الجماعي في أي مجتمع؛ فالإسكيمو مثلاً يكرمون ضيوفهم بأن يقدموا لهم زوجاتهم!..

وتمارس قبيلة "الشوكتشي" _ في شمال شرقي سيبريا _ نظام تبادل الزوجات!.. فيتعاقد عدد من الرجال على ما يسمونه "الزمالة في الزوجات" بحيث يكون لأي منهم الحق في زوجات رفاقه إذا زار دورهم!..

ويمارس بعض أهالي أستراليا الأصليين نظاماً لتبادل الزوجات وإن كان النظام الأساسي عندهم هو زواج الرجل الواحد من زوجة واحدة.

وعندما يكون لكل من الرجال والنساء حق اختيار شريك الحياة، نجد أن الاختيار يقوم على عوامل متباينة، فعندما يحق للمرأة الاختيار،

نراها عادة تراعي القوة في زوجها، أو مدى ثروته وموارده.. وإن كان للحب والعاطفة أثر كبير.

### مقاييس الجمال.. ألوان!

وتختلف الآراء في جمال الأنثى باختلاف الشعوب؛ ففي أوروبا الغربية والبلاد التي تتكلم الإنجليزية، يفضل الجمال الإغريقي. وفي بعض المجتمعات _ كعشائر القرغيز _ تفضل في المرأة البدانة وثقل الردفين.. وتحبس النساء _ لدى بعض القبائل الزنجية في إفريقيا الغربية _ ليغذين بالقوة حتى يصلن إلى مستوى معين من السمنة.. ويغالي أهالي قبيلة "الشوكتشي" في سيبريا في تقدير سمنة المرأة وضخامة ردفيها.. وكذلك الحال لدى أهالي "الكونغو" وقبائل "الهوتينتوت"، حيث يزداد جمال المرأة بضخامة عجزها..

أما في سيلان، فلا بد من عدد من الصفات لكي تكون المرأة مرغوبة: فلا بد من أن يبلغ شعرها ركبتيها، وأن يكون أنفها حاداً كمنقار الصقر، وثدياها بارزين، وخصرها نحيلاً إلى درجة يمكن معها لقبضة اليد أن تطوقه، وردفاها عريضين.. وكان مقياس تفضيل المرأة لدى الصينيين فيما مضى دقة حجم قدميها.. وكانت النساء في الغرب، في بعض العهود، يرتدين "كورسيهات" من الحديد، ليظل خصرهن نحيلاً..

وفي روسيا أصبح الزواج عقداً يجري عليه ما ينطبق على العقود ولا تزال الأسرة في الدول اللاتينية _كإسبانيا وإيطاليا وفرنسا_ تقوم بدور

كبير في اختيار الزوجة للابن أو الزوج للابنة.. ومع أن الزيجات التي تعقد بين الأغنياء والفقيرات _ أو الغنيات والفقراء _ تلقى تحمساً في الأفلام والقصص، إلا أن المجتمعات الغربية لا تزال تنظر إليها في استهجان!

# أغرب عادات الزواج في العالم

جميع الناس في كل مكان وزمان يؤمنون بأن الزواج ضرورة، لأن السلالة البشرية لا تبقى إلا ما بقيت العلاقة بين الجنسين ولهذا فنحن رجالاً ونساء مهيأون للزواج، ولأن الطبيعة خلقت الرجل والمرأة ناقصين ولا كمال لأحدهما بغير الآخر، ومطلوب من الفتى أن يبحث لنفسه عن عروسة، ومطلوب من الفتاة أن تحصل لنفسها على عريس.

## أقدم وثيقة زواج فرعونية

ما أشبه الذي يحدث في هذه الأيام بالذي حدث منذ تسعة وعشرين قرناً من الزمان، إن الذي يتتبع عاداتنا، وتقاليدنا في الزواج في عصرنا هذا – عصر الذرة والصواريخ والأقمار الصناعية – سوف يتأكد أن هذه المراسم تتصل جذورها بمصر القديمة قدم التاريخ نفسه.

في عهد الأسرة الثانية والعشرين؛ قبل الميلاد بحوالي ٨٩٥ سنة كان العريس المصري يقدم المهر لعروسه مقدماً ومؤخراً كما يحدث الآن تماماً، وكان للعروس "شوار" تحمله إلى بيت زوجها بعد أن يحرر لها العريس "قائمة الجهاز" ويقرر ملكيتها له، ويتعهد بالمحافظة عليه.

وهذه أقدم وثيقة زواج.. في التاريخ:

في الشهر الثاني من موسم الفيضان.. في عهد فرعون "نكستانيوس" إله الحياة والمجد والسعادة: أنا "أوزيران" من إدفو، والمنتمي لمعبد "نكستانيوس" أقول للسيدة "نوشين" التي أبوها "إمنحوتس" وأمها "تومانيس" أني قد اصطفيتك زوجة، وأعطيتك خمسة أعشار وزنة من الفضة، وأكرر أن هذا كصداق.

وإذا خطر لي أن أهجرك، واخترت زوجة أخرى فعلي حينئذ أن أدفع لك خمسة أعشار وزنة الفضة مرة ثانية وأكرر لك أن ذلك لا علاقة له بالخمسة أعشار الأولى.

وإني أنزل لك عن ثلث ما أملكه، وما أكسبه الآن من متاع وعقار، والأطفال الذين تلدينهم يؤول إليهم كل ما أملك.

أما قائمة الجهاز فقد نصت على أن جميع المقتنيات المدونة بها ملك للزوجة مادامت تحت سقف بيت الزوج، فإذا أخرجها هو أخذت جهازها معها أما إذا هجرته هي فمن حق الزوج أن يحتفظ بالجهاز مقابل الصداق.

تلك كانت تقاليد قدماء المصريين، ولم تكن تقاليد الشعب وحده، إنما كانت أيضاً تقاليد الفراعنة الملوك.

## بنات الإغريق

إن المركز الاجتماعي الذي كانت تتمتع به عادات النيل منذ عهد الفراعنة، والحقوق التي حصلت عليها المرأة في المجتمع الفرعوني قد تمتعت بها أيضاً بنات الإغريق قبل الميلاد بخمسة قرون، إن المرأة في أثينا وفي إسبرطة، كانت تتمتع بشيء غير قليل من الحرية.. هذا هو ما نتصوره لنا إلياذة "هوميروس"، والتقاليد في بلاد الآلهة كانت تقضي بأن تحجز البنت متى بلغت سن الزواج في مكان خاص من البيت تحت رعاية الأم، ولا تظهر سافرة في المجتمع إلا حين تشترك في حفل عام أو مناسبة دينية، والزواج يفصل فيه الآباء، وليس من حق العروس أن تشترك في المناقشة – البيزنطية – التي تدور حول موضوع اختيار العريس المناسب.

وقد حدث أن رجلاً أراد أن يزوج ابنته فوقع في حيرة. هل يزوجها من رجل غني، ولكنه عديم المروءة، أم يزوجها من رجل عظيم المكانة، ولكنه قليل المال، وذهب الأثيني بمشكلته إلى أحد الحكماء يستشيره، فقال له الحكيم: زوج ابنتك من رجل بلا مال خير من أن تزوجها من مال بلا رجل.

وعلى كل حال فإن الأسرة كانت تهتم باختيار العريس من أصل محترم، وعلى قدر مناسب من الشجاعة والثراء، فإذا تم الاختيار تمت كتابة عقد الخطبة، وهو في العادة يتضمن قواعد وأسانيد فلسفية ومنطقية، وربما على أشعار أيضاً، وينص فيه على مقدار المهر، وحلي الزوجة، وأدوات زينتها، وكان القانون الإغريقي القديم ينظم جميع الشئون الزوجية. فمثلاً

كانت الفتاة مجبرة بحكم هذا القانون على الزواج بأقرب أقربائها إذا توفي أبوها دون أن ينجب ذرية من البنين، والسبب معروف طبعاً، وهو ضرورة الاحتفاظ بكيان الأسرة حتى لا تنقرض.

وكان للمرأة الحق في أن تهجر زوجها إذا استطاعت أن تثبت عدم إخلاصه لها أو سوء معاملته، ويشترط في هذه الحالة أن تكتب تقريراً تقدمه للسجل، توضح فيه جميع الدوافع والمبررات التي من أجلها تعتقد الزوجة أن حياتها مع الزوج أصبحت متعذرة.

والمرأة الإغريقية لم تكن تفقد – عندما تتزوج – كل ما كانت تتمتع به من مركز في المجتمع، ولكن رسالتها تصبح مقصورة على تدبير المنزل، وتربية الأطفال، ولا تغادر الدار إلا في الأعياد الدينية أو لمشاهدة الروايات "التراجيدية"، ولا بد أن يصحبها في هذه الحالة زوجها أو أحد عبيده.. ويقضي عرف المجتمع اللاتيني بعدم ذكر اسم السيدة المتزوجة، وإلا لحقها العار، والزواج الروماني في العصور الأولى كان يقتصر على حفلة دينية تؤدى فيها الطقوس الخاصة بانتقال الفتاة من رعاية الأب إلى كنف الزوج.

وإذا تزوجت الفتاة أصبحت سيدة البيت بالمعنى الحقيقي؛ وأصبح من حقها أن تتناول الطعام مع زوجها، وأن تخرج للرياضة والنزهة، وتتردد على دور التمثيل، وأن تقابل الرجال، وتحظى منهم بكل الاحترام.

ومن الطريف أنه قد حدثت في الإمبراطورية الرومانية – في القرن الثاني قبل الميلاد – أزمة زواج بسبب الحرية المطلقة التي كانت تتمتع بها بنات الرومان وأضرب الشبان عن الزواج، فاضطرت الدولة إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتشجيع الشباب على الإقبال على الزواج، وفي نفس الوقت فرضت الدولة ضريبة على العزاب.

## عرائس المجتمع العربي القديم

عرف العربي الجمال وتذوقه، وتغنى به، وأحب المرأة حباً عميقاً مفرطاً وتمثلها جنته التي يحلم بها، ويضحي من أجلها ويستشهد إذا اقتضى الأمر في سبيلها. ولقد أوحى إليه الجمال كل معنى جميل، وأذكى فيه القرآن حب المرأة بما ساق من آيات عن الحور العين.. أمثال اللؤلؤ المكنون.

وليس إكثار الجاهلي من عدد النساء في خيمته، وليس تعدد الزوجات في الإسلام إلا مظهراً من مظاهر هذا التدله العنيف، فإنما كانت المرأة شغل الرجل الشاغل في حله وترحاله، وفي حربه وسلمه، فإذا هو يشن الحروب من أجلها.. يرسل الشعر متغنياً بمحاسنها إذا دنت، أو متباكياً على فراقها إذا نأت، والعربي في جاهليته كان ينظر إلى المرأة كما ينظر إلى ماله أو متاعه ويتصرف فيها كما يتصرف في الأسلاب الحربية إذا أسفرت الحرب عن وجهها وتبين الغالب من المغلوب، فلما جاء الإسلام نقل المرأة إلى المكانة الجديرة بها، ومنحها كثيراً من الحقوق التي للرجل..

بل لقد زاد على ذلك أن أباح لها ما حرمه على الرجل من التزين بالحرير والذهب، وأذن لها في اتخاذ الطيب والتزين – من غير تبرج.. وهكذا أظل الإسلام المرأة والرجل معاً بظله الوارف، ولم يفرق بينها إلا في أمور قليلة راعى فيها طبيعة المرأة.

حدث أن بعض الجنود الزاحفين على بلاد الفرس تحت راية القائد الشاب سعد بن أبي وقاص أسروا بنات كسرى يزدجرد الثلاث، ثم أرسلهن القائد إلى الخليفة عمر بن الخطاب، وافتداهن علي بن أبي طالب بماله، وأقام زفافهن على ابنه الحسين، ومحمَّد بن أبي بكر الصديق، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب فولدن لهم ثلاثة من مشاهير فرسان العرب وأئمتهم وهم علي زين العابدين، والقاسم بن محمَّد بن أبي بكر ومحمَّد بن عبد الله بن عمر.

ولما استقام أمر الخلافة العباسيين، ونقلوا عاصمة ملكهم إلى بغداد جلبوا إليها أحسن الجواري من أجناس مختلفة، وثقافات متعددة، وتركوا لهن حرية الديانة، حتى لقد كان ضمن نساء الخليفة المهدي جارية ترطن باللهجة الرومية، وتعلق في صدرها صليباً من الذهب، وكان الخليفة يؤثرها بحبه.

### الاهتمام بالجواري

ونحن نظلم الحقيقة إذا قلنا أن الجواري في المجتمع الإسلامي قد اتخذن للمتعة فحسب، فإن منهن من نقل إلى ديار المسلمين وهن صغيرات السن ونشأن نشأة عربية خالصة، وتعلمن الأدب، والفن، وكثيراً

ما كانت اللغة الرومانية أو الفارسية تتجاوب أصداؤها في قصور الخلفاء، والأمراء. يرطن بها رسل الملوك وتقوم الجواري بدور الترجمة.

وأفراح العباسيين كانت مثالاً للترف والأبهة، ومجالاً للتفاخر وكان المطربون والراقصات يجمعون في ليلة الزفاف دنانير كثيرة من الذهب يلقيها إليهم المدعوون على سبيل النقوط.

## زواج الخليفة المأمون

وكانت حفلة زفاف الخليفة المأمون حدثاً فريداً في التاريخ؛ فلقد وزع الحسن بن سهل والد العروس على المدعوين أوراقاً بها عقود تنازل عن ضياع، وجوار، وخيل، وإبل، وقد دفع أحد الأمراء ١٢ ألف دينارا مهراً لابنة أحد الخدم في قصر أبيه وأعد في ليلة الزفاف برميلاً من الذهب الخالص لجمع النقوط.

وأفخر جهاز هو جهاز الأميرة "قطر الندى" بنت الإخشيد. فقد كان لها سرير من الذهب الخالص.. أما الناموسية ومفرش السرير فقد نسجا بخيوط الذهب وبلغ ثمنها وحدهما ٨٠ ألف دينارا.

إن عدوى البذخ والإسراف في معدات الزفاف قد انتقلت من قصور الأمراء إلى بيوت العامة؛ فأسرفوا على أنفسهم فيما لا تحتمله مواردهم.

## عرايس أيام زمان

في أيام زمان.. كان كل شيء يتم مبكراً: بلوغ البنات، وزواجهن ونهايتهن أيضاً. الفتاة يتم نضجها الجنسي في الثانية عشرة، والعرف يقضي أن تتزوج في هذه السن أو بعدها بقليل وإلا اعتبرت "بايرة".. وأمنية كل أم أن "تفرح" بابنتها في بيت "العدل" دون النظر إلى أي اعتبار آخر، فزواج البنت كان غاية في حد ذاته، ولم يكن وسيلة إلى سعادتها على أية حال.

ومن المألوف – أيام زمان – أن يتزوج الفتى دون أن يصل إلى المستوى الاجتماعي المناسب لكي ينشيء بيتاً ويعول أسرة، ومن المألوف أيضاً أن يقيم الشاب "فرحاً" مناسباً ينفق فيه عن سعة من أجل عيون عروس لم يرها طول عمره وإنما سمع عن بيضها وسمنتها، فإذا أسعده الطالع واتفقت طباعهما صفت أيامهما وكانا أحدوثة الناس، أما إذا كانت الأخرى فكل شيء قسمة ونصيب.

### زواج الخديعة:

وزواج الخديعة كان شائعاً في أيام زمان بكل قسوته ومرارته والخاطبة هي التي تقوم بالدور الرئيسي في المأساة، فالشاب يتقدم لطلب عروس بعينها فيزوجونه بغيرها، والعريس اليافع يتزوج الشمطاء التي في عمر مرضعة فرعون، والغادة الجميلة تزف إلى كهل رجله في القبر.

والمساواة بين الرجل والمرأة لم تكن مقررة على إطلاقها، بل كانت مقيدة بقيود اجتماعية وشرعية. ولم يجرب مجتمع القرن الماضي المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة إلا بعد الحرب العالمية الأولى.. وشيئاً فشيئاً، وإن لم تستطع المرأة أن تصل إلى مستوى الرجل أبداً وفي بعض جوانب الحياة، وروابط الزواج بقيت دينية بحتة، ولم يقر المجتمع ارتباط المرأة بالرجل إلا عن طريق الدين، ولا يزال هذا المفهوم هو السائد الآن في القرية.

### زواج المصلحة

كان الزواج يتم في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بدافع المصلحة البحتة، وليس للعاطفة فيه أدنى نصيب، والذي يحدث أن الفتاة كانت تخرج إلى الشارع وتذهب إلى كل مكان، وتسير في الأسواق والأماكن العامة محجبة، فإذا طلبت للزواج منعت عن العريس حتى لا يراها لأن ذلك "عيب"!

ومن أجل هذا كله فإن طرق الزواج وأساليبه أيام زمان كانت – غالباً – تنتج الشقاء، وعدم الوفاق، ومع ذلك فلم تكن حوادث الطلاق بالكثرة الكثيرة التي نشهدها في هذه الأيام.

ومن السمات الواضحة في زيجات الأجيال السابقة :

- جهل العروسين كل منهما بالآخر جهلاً تاماً.
- زواج مختلفي الطباع والمنزلة، وحتى مختلفي الجنسية والدين.

- زواج المصلحة والزواج القسري.

- تأويل أوامر الشريعة وأحكام الدين على غير وجههما، وإخضاعهما للشهوة.

وعروسة أيام زمان كانت تقبل أن تكون لها "ضرة" أو ضرائر والحياء دائماً يمنعها من الشكوى وحتى من مجرد الشعور بالألم بسبب إشراك أخرى لها في رجلها ما دام هذا الرجل يعدل بينهما وبين ضرائرها، ومن أهم الأسباب التي أنتجت هذه النتيجة، وأجبرت فتاة الجيل الماضي على الرضا، فالفتاة إذا شبت وجدت لأمها "ضرة" ولخالتها "ضرة" ولعمتها "ضرة" ولجميع قريباتها ضرائر. فلم يكن ذلك إذن بالشيء الغريب عنها، ولو أنه كان يجرح كبرياءها. ولكن هناك دوافع سبب عزوف الشباب عن الزواج من بنات البلد:

من دوافع العزوبية:

- المغالاة في المهور.

- اضطراب المجتمع في القرن الماضي بين الاختلاط وعدم الاختلاط. وبين الحجاب والسفور.

- اضطلاع الهيئات الأجنبية بمهمة تعليم البنات، فلقد كان عدد مدارس البنات في القاهرة ثلاثا فقط، وكان تعليم البنات ترفاً وليس ثقافة.

- تدليل البنات كان ظاهرة واضحة. فلم تنشأ فتاة الجيل الماضي نشأة استقلالية، ولم تأخذ من بيتها إلا ملء قلبها الصغير أوهاماً وخزعبلات.

## لا تتزوج.. حتى تعرف عادات الزواج في العالم

العادة في أرضها لا تثير غرابة، ولا تستدعي عجباً، ولا تستوجب النفور أو السخرية منها. والعادة في أرضها، تمارس من غير تفكير لأنها مألوفة، وأنت تستطيع أن تغير معايير الأخلاق، ومفاهيم الأشياء في شعب أو في أمة، ولكنك لا تستطيع أن تغير عادة قديمة أو تقليداً بالياً ألفه الناس وتواضعوا عليه، إن العادات تتفاوت بقدر ما بين الشعوب من اختلاف في أساليب تفكيرهم وأنماط حياتهم، ومقادير ثقافتهم، ومقتضيات عقائدهم، ولكل شعب من شعوب الأرض تقاليده وطرائقه في الزواج، والناس في جميع الأقطار يمارسون تقاليدهم هذه، ويحكمون بها روابط الزوجية.

وبعض هذه التقاليد قد زال أو تعدل تحت عوامل المدنية الحديثة أو تقارب الثقافات واتصال البيئات وانتهاء نظام الانعزال. وبعض هذه العادات ما زال يمارس على أنماط وطقوس مختلفة غريبة بقدر بعدها عن حد المألوف في غير أوطانها، ومن أجل ذلك فهي تجتذب انتباه الناس.

وبعد.. فهذه هي عادات بعض الشعوب في الزواج والحب من الشرق والغرب.

## زواج البدو .. في صحراء مصر

إذا أردت أن تتزوج إحدى بنات البدو في صحرائنا، فلا بد لك من "السياق" وهو رجل تختاره لكي يذهب إلى أهل العروس، ويطلب يدها لك ويحسن أن يكون هذا الرجل هو شيخ النجع نفسه.

وإذا تم الخطبة فعليك أن تذبح خروفاً بنفسك وتشويه على النار ليلة الدخلة حيث يتجمع أصحابك يرقصون لك بالسيف، وفي ليلة الدخلة سيراعي أهل النجع ظروفك فيأوون إلى خيامهم مبكرين.

### التسعيرة الجبرية في قبيلة الجبالية:

وفي الصحراء أيضاً بتم الزواج بالتسعيرة الجبرية.. عليك أن تدفع السعر المحدد للعروسة على سنة الله ورسوله، وتقوم هي بجميع تكاليف البيت بشرط واحد، هو أن تكون من أبناء القبيلة.. لأن بنات القبيلة لا يتزوجن الفلاحين، وأنت مهما يكن أصلك وفصلك فأنت فلاح ابن فلاح ما دمت لا تنتسب إلى قبيلة الجبالية.

والعادة المتبعة أن يذهب العريس إلى والد العروسة ويسلمه مائة جنيها نقداً وعداً بلا زيادة ولا نقصان سواء كانت العروس في منتهى الجمال أو في غاية الوحاشة. ثم يتسلم البنت من أبيها ويأخذها إلى خيمته.

والطلاق في قبيلة الجبالية مثل الزواج يتم ببساطة، فلا نفقة ولا مؤخر صداق، ولا محاكم شرعية.. يكفي جداً أن يأخذ الزوج زوجته من

يدها ويسلمها لأبيها كما تسلمها منه ويسترد نقوده ويذهب إلى حال سبيله.

### زواج المفاعيص في الواحات:

البنت تتزوج ابتداء من سن الثامنة، والولد يتزوج في الثامنة عشرة، وعندما يحدث الاستلطاف وهما يلعبان في النجع ويرعيان الغنم والماعز يقرأ والد الفتى ووالد البنت الفاتحة وهما يشربان الشاي الأخضر في المساء.

وفي ليلة الحنة يستحم العريس في عين الفرسان وتستحم العروسة في عين الغزلان، وعلى العريس في هذه الليلة أن يصطاد غزالاً ليأكل قلبه مع عروسه وإلا تأجل الزفاف، الجهاز مرتبه وحصيرة. وتقاليد الزواج في الوادي الجديد تختلف عن بقية الواحات الخارجة ..

وفي باريس الوادي الجديد جمعية تعاونية للزواج والعريس لا يتحمل التكاليف وحده وإنما يساهم الأقارب والأصدقاء والجيران في هذه التكاليف، والأسعار تختلف حسب نوع العروسة، فللمطلقة مهر محدد، والعذراء مهرها.. جنيهان.. أما الجهاز فهو مرتبة وحصيرة، والأغنياء وحدهم يجهزون بناتهم بالسرير "أبو سبع".

### الشبكة.. حمص في سيوه:

وفي سيوه عندما يضع الشباب عينه على فتاة تذهب أمه لخطبتها ومعها قريباته، والشبكة ثوب حرير للعروسة ومنديل مملوء بالحمص

والحلويات وفيه أربع ريالات فضية. فإذا قبل أهل العروسة هذه الهدية اطمأن العريس على حصوله على العروسة، وفي اليوم التالي للخطبة تخبز أم العروسة مقدارا من الكعك وتجهز أربع دجاجات، دجاجة مقابل كل ريال أخذته، وترسل هذا العشاء إلى منزل العريس، وفي اليوم المحدد للزواج يلبسون العروسة ثوب الفرح، ويضفرون شعرها ضفائر كثيرة حتى يتعب العريس في حل هذه الضفائر ويستغرق في ذلك وقتاً طويلاً.

وعادة اختطاف العروس أثناء الفرح بوساطة أحد أصدقاء العريس ونقلها إلى بيت الزوجية في زفة كبيرة معروفة في سيوه.

### يوم الصفاح.. في السودان

يتم الزواج بين الأقارب عادة، ولا توجد فرصة لاختيار الزوجة في غير المناسبات والأفراح، ولا يسمح للزوجة بالخروج من منزل الزوجية إلا بعد ٤٠ يوماً على الأقل، وليس عند إخواننا السودانيين شبكة ولا دبلة خطوبة. ويوم عقد القران يسمى هناك "يوم الصفاح" وتعقب ليلة الحنة هناك بليلة السيرة.. أي ليلة الدخلة. وتمتد احتفالات الزواج سبع أيام بلياليها، وكانوا إلى عهد قريب يميزون بين الفتاة المتزوجة وغيرها بالدق على الشفة السفلى "الشلوفة".

وفي قبيلة الشلوك.. أبناء هذه القبيلة لا يمهرون عرائسهم بالمال، وإنما برؤوس الثيران. وعندما يجلسون للاتفاق على مهر أي بنت يغرس العريس في الأرض أعواداً من الحطب ترمز إلى عدد رؤوس الثيران التي

يستطيع تقديمها فإذا تم الاتفاق على المهر تقدم الشبكة وهي عبارة عن أسورة من العاج فإن لبستها العروس كان ذلك علامة القبول، وغير مسموح للعروس أن ترى وجه العريس أو أحد أقربائه إذ يحال دائماً بينها وبين أم العريس وشقيقاته.

## عرايس أواسط إفريقيا

المهر لن تدفعه لإحدى العرايس من قبائل الدنكا بالعملة الصعبة ولا حتى بالعملة السهلة، ولكن مهر أي عروس هو عدد من الأبقار يتناسب مع مركز العائلة الاجتماعي. وبعض سلاطين جنوب السودان يرفض أن يزوج ابنته بأقل من ٣٠٠ بقرة ، فإذا أصبحت حياتك مع العروسة متعذرة فإنك تستطيع أن تستعيد أبقارك، وتستطيع أيضاً أن تجرب حظك وتتزوج أي عدد من النساء ولا يقول لك أحد "تلت التلاتة كام" ما دمت تستطيع أن تقدم الأبقار، وفي الغالب لا يتم الزواج إلا بين الأقارب.

والنساء في بعض القبائل التي تقطن أعالي النيل من اللائي يرثن الألقاب والأرض والمال، والأطفال ينسبون إلى الأم وأم الأم وهكذا. ومن حق العرسان فقط أن يتزينوا بالعقود ويدهنوا أجسامهم بزيت جوز الهند ليأسروا قلوب العرايس، ويغرونهن بالزواج منهم، والرجل في أواسط إفريقية يتزوج من عشر نسوة أو أكثر، ولكنه يؤثر عليهن واحدة فقط يجعلها الرئيسة عليهن جميعاً، بمن واجب الأخريات أن يخدمنها.

وما عليك إذا أردت أن تتزوج إلا أن تذهب لأي أب وتدفع له ثمن البنت ثم تأخذها لأنهم هناك ينظرون إلى المرأة على أنها سلعة تباع وتشترى.

والجمال هناك له مقاييس محددة: السمنة المفرطة، والصدر الكبير المتدلي، والأعجاز المنتفخة.. وإذا أرادت العروس أن تحصل على عريس "لوكس" فإن عليها أن تزيد سمنة جسمها حتى تعجز تماماً عن المشي والنهوض أيضاً فيكون ذلك دليلاً على غلو المنزلة الاجتماعية، ويزيد بالتالي عدد الأبقار التي تقدم لأبيها كمهر، وإذا تقدم لملكة الجمال أكثر من شاب فإن اللياقة تقضي بألا يقابلها وحده.. بل تستقبل جميع الذين تقدموا إليها في وقت واحد حتى تتاح لهم جميعاً فرصاً متساوية لمغازلتها والاستحواذ على قلبها.

إذا أرادت المرأة في وسط إفريقية أن تطلق زوجها لتتزوج غيره فإن من حق الزوج الأول أن يبتر لها أصبعاً أو أي عضو من أعضائها، وبعد ذلك يصبح من حقها أن تتزوج غيره.

وبعض القبائل تمنح الفتاة فرصة واحدة للخلاص من الرجل الذي لا تحبه، وهذه الفرصة تتطلب عضلات قوية وقدرة على الدفاع عن نفسها، فإذا استطاعت أن تصده عنها طوال الليلة الأولى اعتبر الزواج لاغياً، ويفقد العريس أبقاره التي دفعها مهراً.. أما إذا استطاع أن ينالها فهي ملك له.. رضيت أم كرهت.

## في غانا

الاختلاط في غانا أمر طبيعي، ويقع في جميع مراحل الحياة، وعندما يعجب الشاب بفتاة يأخذ رأيها هي أولاً في موضوع الزواج فإذا وافقت ذهب إلى أقرب صديق لوالده وأخبره برغبته في الزواج من فتاته، ويتولى هذا الصديق نقل الخبر إلى والد العريس وتبدأ الاستعلامات والاتصالات حتى إذا اطمأن والد العريس إلى نتيجة تحرياته أرسل إلى عائلة العروس رسولاً يحمل مبلغاً صغيراً من المال لكي يكون هذا المبلغ بمثابة استئذان لدخول والد العريس إلى منزل أهل العروسة ليطلب يدها لابنه. ويسمى هذا المبلغ "دق الباب"، والعروسة هي التي تحدد مهرها بنفسها، ولكن لا بد أن يوافق "أمير المسلمين" على عقد القران وغالباً ما يتم ذلك يوم الجمعة وينوه إمام المسجد في خطبته بالعروسين ويحيهما، ويدعو لهما بالسعادة والتوفيق.

وفي بعض قبائل وسط إفريقية يختلط الشاب بالفتاة ويبيتان معاً في فراش واحد كتجربة للزواج فإن لم ينسجما معاً بعد فترة معينه أعيدت التجربة بالنسبة للفتاة مع ثان وثالث إذا اقتضى الأمر. والبنت التي لا يقع في حبها أكبر عدد من الشبان يعتبر أهلها أن فيها عيباً لا بد من علاجه عند الساحر.

وعند قبائل "البانتو" الإفريقية لا يتزوج الشاب من الفتاة إلا إذا حملت منه ليتأكد العريس من أنها ليست عقيما، وعندما يقام حفل الزفاف في بعض أقاليم وسط إفريقية يجتمع الرجال كلهم في مجلس الموسيقى

والرقص، وتنعزل العروس في جانب من خيمة العريس، ويدخل عليها رجل ملثم ويفض بكارتها دون أن تعرف شخصيته.

## زواج الصحراء الإفريقية

الرجال في قبائل الطوارق بصحراء إفريقيا محجبون، والنساء سافرات، والخطبة عندهم تتم على أحدث ما عرفت المجتمعات المتحضرة.. يتعرف الشاب على فتاته ويكون معها علاقة بريئة وفي أثناء فترة الخطوبة يخرج الخطيبان إلى الصحراء ويأويان إلى ربوة أو مكان منعزل بعيداً عن العيون، ويظل العريس يدردش مع العروسة طول الليل.. ثم تعود البنت إلى أهلها، والقبلات في هذه الحالة غير ممنوعة، ولا خجل من أن يتبادل العروسان قبلة أمام أحد أفراد العائلة، وعندما يتفق الشاب والفتاة على الزواج يرسل الشاب أهله ليخطبوا له الفتاة التي اختارها، ويحددوا المهر.

والمهر يحسب بالجمال (بكسر الجيم) والنياق (جمع ناقة) ويتحدد على حسب مركز العائلة الاجتماعي. فالطبقة الراقية مهر البنت فيها ٧ نياق وجمل ذكر، والطبقة المتوسطة يحسب مهرها بالماعز "٢٥ معزة مثلاً" وحماران أو بقرتان.

وتتم قراءة الفاتحة وإعلان الخطوبة بعد المساجلة بين القبيلتين وتعديد مناقب كل منهما، وليس في الصحراء مأذون لأنهم لا يعرفون كتب الكتاب وإنما يتم الزواج حسب الأصول الشرعية فقط: الطلب والقبول، وحفلات الزفاف تستمر عشرة أيام.. ثلاثة قبل الدخلة وسبعة بعدها وتعد خيمة

جديدة للعروسة تبعد ١٥ متراً عن خيمة العريس. ويتحرك موكب الزفاف بين الرقصات البدوية ودقات الدفوف من الخيمة الأولى إلى الخيمة الثانية ويصل بعد ٦ ساعات.

ويدخل العريس بعد ذلك فيجد عروسته ليست وحدها بل مع مجموعة من صديقاتها مختفية بينهن وعلى الزوج أن يخرجها من وسطهن، فإذا لم يستطع ذلك فوراً فإن العروسة ترجع إلى أهلها ولا تعود أبداً.. أما إذا استطاع العريس التعرف على العروسة من أول وهلة فإن صديقات العروسة يتركن لهما الخيمة ويخرجن.

ويظل العروسان معاً طول الليل وفي الصباح تذهب العروسة إلى أهلها، لأنها لا تزال خاضعة لسلطان أبيها، ولا بد أن يحررها العريس ويخضعها لسلطانه هو بدفع مبلغ من المال لأبيها.

وأحياناً يعجز العريس عن تحرير عروسته فتظل خاضعة لسلطان أبيها تأتي إلى خيمة الزوج بالليل وتذهب إلى خيمة أبيها بالنهار فإذا نقل أبوها خيمته فإن عليها أن تتبعه حتى إلى أقاصي الصحراء التي يمتد من حدود ليبيا الشرقية إلى ساحل المحيط الأطلسي.

### عرايس اليمن

العريس في اليمن لا يرى عروسته، وإنما يخطبها بوساطة والدته أو أخته أو إحدى قريباته. والسن التي تزوج فيها البنت غالباً هي الثانية

عشرة، فإذا بلغت الفتاة الرابعة عشرة ولم تتزوج اعتبروها عانساً، وعندهم مثل يرددونه دائماً في أفراحهم، يقول المثل: "بنت ثمان، وعلى الضمان"

وحفلات الزواج عند اليمنيين تبدأ بيوم الحمام، وهم يسمون العروس "الحريوة" كما يسمون العريس "الحريو"، وفي يوم الحمام تسير "الحريوة" في موكب من البنات إلى حيث يتم إعدادها وتزيينها، وفي اليوم الثاني تصبغ يديها ورجليها بصبغة سوداء، أما اليوم الثالث فهو مخصص لنصب حلقة الذكر التي يتوسطها العريس، ومن حوله ترتفع الدعوات الصالحات، وتنشد التواشيح والأناشيد الدينية ، ولا مغالاة في المهور عند اليمنيين، كما يؤسس منزل الزوجية باشتراك العريس مع والد العروس.

## في باكستان

في باكستان كما في غيرها عادات وتقاليد تتبع في الزواج وتختلف باختلاف البيئة التي ينتمي إليها العروسان، وفي العادة تستغرق الاستعدادات لحفلات الزواج أياماً وربما أسابيع ولو أنها لم تعد من الفخامة والبذخ كما كان عليه الحال في الماضي، فقد أصبحت الأسرة المسلمة المصرية تقتصر على مجرد عقد القران وإقامة حفل استقبال بسيط ترتدي فيه العروس الثوب الشرقي الفاخر الذي كان الشغل الشاغل لأهل العروسة والعريس لمدة شهرين أو ثلاثة.

وفي العادة يكون لون الثوب أحمر وتختار الطرحة من أجود أنواع الحرير الموشى بالذهب الذي يبهر الأبصار ببريقه الوهاج ويضع كل من

العروسين على جبهته باقة صغيرة من الزهور المربوطة بخيوط رفيعة ولا تضع هذه الباقة إلا من يتزوج للمرة الأولى فلا يسمح لمن سبق له الزواج من العروسين أن يضعها.

أما مراسيم الزواج فهي بسيطة كالمألوف في الشعائر الإسلامية وعندما يحضر العريس لعقد القران في منزل العروس لا يسمح له إخوتها بالدخول إلا بعد أن يجزل لهم العطاء، وبالمثل تفعل أخوات العريس مع العروس عندما تدخل منزل الزوجية.

## في إندونيسيا والملايو والفلبين

عند شعوب آسيا الإسلامية في إندونيسيا والملايو والفلبين تبدأ احتفالات الزفاف بقراءة الختمة. وتقاليد الزواج هناك لا تخلو من طرافة وسن الزواج تبدأ في السابعة عشرة للفتاة وفي العشرين الفتى، فإذا اتفق الطرفان على فعلى العريس أن يقدم الشبكة للعروسة .. صندلاً ورداء وطنياً فإذا كانت مثقفة قدم إليها – أيضاً – خاتماً وساعة يد، وبعد عقد القران في بيت العروسة تستقبل الفتاة عريسها فتصافحه باليد إذا كانت من بنات المدن أما إذا كانت من بنات الريف فإن عليها في هذه الحالة أن تقبل يده.

ومن المألوف أن يكون العروسان قد أتما حفظ القرآن الكريم، ولذلك فإنهم ينتهزون فرصة إعلان الخطبة للاحتفال هذه المناسبة الدينية. والختمة حفل ديني خاص يقرأ فيه القرآن كله من أوله إلى آخره وتقدم في

نهاية الحفلة هدية مناسبة للفقيه، وعقد الزواج يحرر في المسجد، وبعد انتهاء العقد يعود العريس إلى بيته ويتوافد الشباب عليه لتقديم التهاني والهدايا والنقود.

أما إذا كنت في بلاد الأفغان وأردت أن تتزوج فلا بد لك من أن تعقد العقد في الخريف لكي يمكنك أن تقضي شهور العسل في فصل الشتاء، إن البرد في بلاد الأفغان قارس، وهم يقضون شهور الشتاء الثلاثة في المنازل بعد الحصاد ولا يفعلون شيئاً. ولهذا يتزوجون في الخريف لكي يكون لديهم ٣ شهور عسل.

والعريس يبدأ أولى خطواته في مشروع الزواج بأن يرسل والدته أو إخوته لزيارة العروس والاتفاق معها وإجراء المشاورات اللازمة على مستوى حريمي.

فإن الأصول تقضي بأن يترك الشبان للأمهات حق اختيار العرايس، وعلى كل حال فإن العروسة يجب أن تكون إحدى قريبات العريس، ومن النادر أن يتزوج رجل من غريبة.

## برنامج الزواج في تونس

الزفاف في تونس يتم حسب برنامج معين – من الخميس إلى الخميس – ودور العريس في هذا البرنامج سلبي، فكل ما عليه أن يفعله هو الانتظار في بيته والإشراف على أصدقائه وهم ينصبون له التخت أي

السرير، وأول ليلة في البرنامج هي ليلة "النجمة" وفيها يقام احتفال بإعلان الخطوبة وبدء الأفراح والليالي الملاح. وتنظم المساجلات الشعرية والزجلية. ويحيي أصحاب العريس الفائزين ويقدمون إليهم الهدايا والنقوط، وآخر ليلة في البرنامج في ليلة "المحضر" وفيها تعد العروس الزفاف وتجلس في الجلوة بين صديقاتها. والناس في تونس يبالغون في حفلات الزفاف.

## غجريات الدانوب

في أواسط أوروبا.. توجد أجمل النساء في العالم يعشن في الخيام وسط قبائل الغجر الرحل، للغجر تقاليد خاصة في الزواج.. تقام حلقة كبيرة من الخيام والعربات ويجلس العروسان على فروة في الوسط أمام النار. ويتقدم والد العريس ليدفع المهر لأم العروس، وتبدأ المساومة. وينحاز جميع الرجال بما فيهم أقارب العروس إلى جانب العريس محاولين تخفيض المهر. وتنحاز النساء جميعاً بما فيهن أقارب العريس إلى جانب العروس، ويحاولن رفع قيمة المهر، وكل هذا والعروسان يتشاغلان عما يجري حولها بحديث خاص يدور بينهما هما.

وبعد انتهاء هذه المساومة يقوم والد العروسة بخدش جرح صغير في معصم العريس، وآخر في معصم العروس. ثم يضم يديهما ويربطهما كي تمتزج دماء العروسين.. ويرتبطان برباط الزواج.

## حلويات إسبانيا

الزواج في إسبانيا لا بد أن يقوم على أساس الحب، وهم لا يعرفون المهر، ولا يتحدثون عن النقود، ومع هذا فالعريس في إسبانيا ينفق كثيراً من المال في حفلات الزفاف.

في يوم إعلان الخطبة لا بد للعريس أن يبرهن على كرمه ولذلك لا بد له من إقامة وليمة كبيرة، فيها مقادير هائلة من الحلوى والشراب والفاكهة تخلط، وتوضع في أوان واسعة تغطى بالأبسطة، وعلى المدعوين بعد أن يفرغوا من تناول الطعام أن يتقاذفوا بالحلوى والفاكهة وهم يقدمون تهانيهم العروسين فيكون ذلك دليلاً على الفرح والسرور.

## تأمين للزواج.. في الدانمرك

في بلاد الدانمرك تدفع الفتيات اشتراكاً شهرياً للتأمين ضد عدم الزواج. فإذا تزوجت الفتاة قبل سن الأربعين لا يحق لها أن تسترد شيئاً مما دفعته.. أما إذا لم تتزوج حتى بلوغها هذه السن فإن على شركة التأمين أن تدفع لها معاشاً شهرياً مدى الحياة.

## الاختيار للعروس.. في بولندا

الزواج في بولندا أرخص من ثمن زجاجة "الفودكا" والفتاة متى خطبت تشارك عريسها في عمله. وعندما تنوي الزواج فإنها لا تفعل أكثر من أن تخبر والديها بذلك ثم تصطحب الرجل الذي وقع عليه اختيارها إلى أقرب

مكتب زواج لعقد العقد. والعجيب أن الزواج بهذه الطريقة لا يكلف الزوجين أكثر من ثمن أوراق الدمغة التي توضع على وثيقة الزواج، وحفلات الزواج عندهم خفيفة الروح. يرقصون فيها ويتناولون المثلجات ويتبادلون النكت اللطيفة.

## أرخص زواج.. في تشيكوسلوفاكيا

ليس في تشيكوسلوفاكيا أرخص من الزواج، إن الشاب هناك يستطيع أن يتزوج بمجرد أن يجد الفتاة التي تبادله الحب، ويتفقا على الزواج وتبدأ الإجراءات، وإجراءات الزواج بسيطة والدولة تساهم في نفقات الزواج ولكل شاب أو شابة مطلق الحرية والزواج ابتداء من سن الثامنة عشرة ويتم عقد الزواج في مكتب الإدارة الإقليمية الذي يتبعه العروسان، ولهما إذا شاءا أن يقيما حفل الزفاف الديني بعد ذلك وفي العادة يتم الاتفاق بين العروسين على الاسم الذي سيتسميان به، سواء كان اسم الزوج أو الزوجة، ولكل منهما الحق في الاحتفاظ باسمه الخاص، وكذلك أولادها.. يتفق الزوجان بشأنهم.. هل يحملون اسم عائلة الزوجة أو اسم عائلة الزوج.. هذا مع العلم أن الدولة تفرض ضريبة على العزاب.

## في الهند.. يخطبونك وأنت في اللفة

إذا جاء موسم الأفراح والليالي الملاح قبل سقوط الأمطار الموسمية فلن تمر ليلة إلا وتطوف شوارع مدن الهند زفة عريس على حصان، وهم يحددون موعد إتمام الزواج بالطالع وحساب النجم، وليس ما يمنع من أن

يتم الزواج بالنهار أو بالليل حسب الطالع، وعند الهندوس توجد أربع طرق للزواج وعلى العريس أن يراقب الطريق وهو ذاهب إلى بيت العروسة لمعرفة الفأل، فإذا صادفه ثعبان مثلاً كان ذلك سبباً في تأجيل الزواج، وقد أصدرت حكومة الهند قانوناً يقضي بإلغاء المهر. وهذا القانون يعاقب العريس الذي يدفع مهراً بالحبس والغرامة. كما يعاقب أسرة الزوجة إذا ثبت أنها قبضت مهراً من العريس.

وفي بعض أقاليم الهند يخطبون للولد الرضيع وهو لا يزال في حجر أمه ويستطيع الكهل أن يتزوج طفلة في عمر أحفاده كما يستطيع الرجل أن يتزوج أكبر عدد من النساء، ومراسم الزواج والهند بسيطة للغاية ولا تستغرق الطقوس التي يقوم بها الكاهن أكثر من عشر دقائق.. وفي بعض الجهات الفتاة هي التي تخطب وتختار.

## حذاء خطيبتك.. في الصين

إن ثورة الصين الشعبية سنة ١٩٤٩ قد بعثت المرأة الصينية من جديد، وأنقذها من العبودية والرق، وكفلت لها جميع الحقوق، وفي العهد القديم قبل الثورة كان يرخص للفتى أن يرى حذاء خطيبته قبل إعلان الخطبة. حتى إذا ظهر له فيما بعد أن قدمها أكبر من الحذاء جاز له فصم عرى الزوجية دون أي التزام منه بأي حقوق، كانت الأمهات يلبسن بناتهن في سن مبكرة أحذية ثقيلة وضيقة جداً، ويتركنها دائماً في أقدامهن حتى لا تكبر، ولم يكن يحق للرجل أن يتزوج إلا بواحدة فقط، وله بعد ذلك أن يتخذ ما شاء من الخليلات على قدر ثرائه.

وقد نظمت الثورة العلاقة بين الرجل والمرأة ومنع الزواج القائم على استغلال الرجل للمرأة وحل محله الزواج القائم على الاختيار والتفاهم، وأصبح الزواج بأكثر من واحدة ممنوعاً منعاً باتاً وحددت سن الزواج بالعشرين بالنسبة للشاب والثامنة عشر بالنسبة للفتاة.

كما أصبح دفع المهر أو تقديم الشبكة محظوراً، وأنت تستطيع أن تتحدث مع الفتاة التي تعجبك في أدق أمور الجنس فتجيبك وتناقشك، كما لو كانت رجلاً مثلك دون أن تأخذ كلامك على أنه معاكسة أو غزل، والعروسان في الصين أصبحا شريكين في حياتهما، ولكل منهما الحق في اختيار العمل الذي يريده، وقد مضى الزمان الذي كانت فيه العروس في الصين تنتحر لأنها تفضل الموت على العيش مع الحماة.

### العروس في اليابان

العلاقات الزوجية في اليابان لا تبنى على العاطفة وليست مسألة شخصية ولكنها علاقات تقوم على العقل أساساً، وتستهدف مصلحة المجتمع، والأسرة في اليابان هي التي تختار العريس، وقد يقوم بإنجاز الخطوبة محترفون يجمعون بين الشبان والبنات في فندق، أو في مشرب للشاي.. وفي هذا الاجتماع تقوم الفتيات بخدمة الشبان والترفيه عنهم، وإذا تم الاتفاق فإن أسرة الفتاة تحدد يوماً لاستقبال العريس في منزل الأسرة، وعليه حينئذ أن يذهب في جمع من أقاربه.. وبعد ذلك تتم مراسم الزواج.

وعقد الزواج في اليابان لا يتم في المعبد، ولا يسجل، ولا يصبح شرعياً إلا بعد مضي عام كامل. حتى إذا لم ينسجم العروسان كان لكل من العائلتين حق طلب فصم عرى الزوجية لأنها لا تتفق مع مصالح الأسرة، وفي ليلة الزفاف يحدد العرافون ساعة الدخلة خشية نحس الطالع وتذهب العروس إلى بيت العريس عند الغروب وهي تلبس رداء أبيض ناصعاً، وتضع على وجهها نقاباً، وتحمل على محفة ومن ورائها حاملو الهدايا، وأكبر شخصية في الأسرتين يحمل برميلاً صغيراً مملوءًا بالأصداف التي يصنع منها شرابًا يتعاطاه الزوجان لكي يتمتعا بحياة زوجية سعيدة، وعند وصول العروس إلى بيت الزوجية ترتفع الأيدي بالمشاعل على جانبي عتبة الدار، ويخلط مسحوق الأرز وينثر على الموكب.

وأهم شيء يقوم به العروسان قبل الزفاف هو أن يذهبا إلى أحد المعابد.. يذهب العريس أولاً، ويقف أمام المعبد الذي تتدلى من سقفه مقشة كبيرة أو عدد من المقشات فيمسك أكبرها ويهزها يميناً وشمالاً لكي تكنس جميع ذنوب الماضي، والعريس الذي يهز المقشة قليلاً يكون معنى ذلك أن حياته السابقة ليس فيها ما يستحق الكنس وأن ماضيه نظيف لا يثير الغيرة في قلب العروس.

أما العريس الذي يهز المقشة طويلاً فماضيه مليء بالنساء والخطايا، وكلما بالغ في الكنس كان ذلك دليلاً على حرصه على أن تدخل العروسة قلبه، وهو خال من أصناف النساء.

وعندما يفرغ العريس من عملية الكنس يجد عروسه واقفة وراءه وهي حانية الرأس باسمة الثغر، وقد أرقدت "الكيمون" الجميل، والقبقاب الخشبي الياباني المشهور، وزينت شعرها الفاحم بالورود الناضرة، ووضعت يدها خلف ظهرها... ثم تسير وراءه إلى منزل الزوجية.

## مساواة كاملة.. في روسيا

كانت المرأة الروسية في عهد الإقطاع تشغل مكاناً ثانوياً تافهاً في المجتمع، وكانت وسيلة للترفيه عن الرجل وتسليته، والزواج بالإكراه أو قبل بلوغ السن القانونية أو بطريق الاختطاف كان أمراً معترفاً به من وجهة نظر القانون القيصري مادام طالب الزواج يدفع الكاليم – أي المهر– للوالد.

بعد الثورة الروسية سنة ١٩١٧أصدر "لينين" قرارات تتعلق بالزواج وتنظم شئون العرسان، وأصبح الزواج المدني هو النظام المعترف به في جمهوريات الاتحاد السوفييتي، ولإتمام العقد يتطلب القانون الموافقة الحرة بين الزوجين ويمتنع منعاً باتاً إرغام المرأة على الزواج أو الاستمرار في الحياة الزوجية دون رغبتها، والمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة مؤكدة ولا توجد أي قوانين تحد من الزواج بسبب الجنس أو الدين أو الجنسية والمواطنون الذين يصلون إلى السن القانونية وهي سن الـ ١٨ لهم حق الزواج مهما كان لونهم أو جنسيتهم، والزواج يتم تسجيله في سجلات "مصلحة الأحوال المدنية" لكي تعترف الحكومة بشرعيته، ولكنها تعترف أيضاً بقيام الزيجات غير المسجلة، وتسعى لتسجيلها ضماناً لقيام الأسرة على أساس سليم.

## العرايس الساخنات.. في كوبا

الحياة في كوبا متعة للرجل، والزواج هناك لايكلفك كثيرا، ولن يكلفك الحب في أيام الخطبة كثيراً؛ ثلاثون قرشاً تكفي في الليلة وفي مقابلها تستطيع أن ترقص مع من تحب طول الليل وأن تتبادلا القبلات في الطريق العام بمعدل ٢٤ ساعة في اليوم، بشرط واحد: أن تقابل والد الفتاة وتخبره أنك قد خطبتها لنفسك.

وفي فترة الخطبة.. ستغرق في العسل حتى أذنيك.. أنت الذي تتدلل، والعروس هي التي تدللك، وتترضاك، والفتاة الأخرى التي تنتدبها العائلة لمرافقة العروس تنحصر مهمتها في مراقبة الموقف من بعيد، وتكتفي بمشاهدة العروس، وهي تتفنن في إرضائك فإذا كنتما على أحد بلاجات كوبا الواسعة الطويلة العريضة تستطيعان أن تسيرا في وسط قافلة للعشاق المنتشرين اثنين.. اثنين وتستطيعان أن تجلسا على السور الذي يشبه الكورنيش، وعروستك تضع الحمص والفول السوداني.. في فمك، وأنت لست مكلفاً بأن تتأنق في ملبسك عندما تذهب للقاء العروسة.. تستطيع أن تترك ذقنك تطول، وأن تذهب "بعفريتة" الشغل أو بنطلون مقطوع، وتصحبها إلى أحد النوادي الليلية.

شيء واحد ربما يضايقك من عروستك، هو كثرة "الرغي" إنها تستطيع أن تتحدث خمس ساعات – مثلاً – بدون أن تكل، وتنتقل من حديث إلى حديث، ومن حكاية إلى حكاية، دون أن تمل، ولا يهمها أن تذهب بها إلى المسرح، أو تتعشى معها في مطعم أو تسير برفقتها حافي

القدمين، ما دمت تستمع إلى حديثها؛ وأن تبادلها كلمة غزل واحدة بعد كل مائة عبارة غزل توجهها إليك.

## موكب الفيلة... في لاوس

في لاوس تركب العروس الصغيرة السمراء فيلاً ضخماً؛ وتخترق الغابات الكثيفة وعلى رأسها عشرين جوزة هند، ويمشي عريسها ووجه في الأرض، ويمشي الفيل والعروس فوقه تأكل وتنام وهي على ظهره، وعلى العريس أن يظهر أنه رجل من ظهر رجل فلا يشكو من المشي، ولا من الجوع، ولا من الوحوش الكاسرة، حتى إذا ما انتهت الرحلة التي تستغرق ثلاثة أيام؛ والعرسان في صحة جيدة يبدأ الاثنان في البكاء من شدة الشوق والفرح، ويستغرق البكاء يومين حتى تحضر أم العروسة فيأخذ العروسة ويهرب بها بعيداً عن حماته، ويبدأ شهر العسل.

## زواج بلا كلام.. في جزيرة بالي

يجلس العروسان على قطعة من الحجر ساعات طويلة دون أن يفتح أحدهما فمه بكلمة واحدة، ويجئ الكاهن ويدور حولهما، ويقطع الموز وجوز الهند ويضعه على رأس العريس، ثم يجيء بالتراب ويضعه على رأس العروس، ويبقى هذا الاحتفال على هذا المنوال عشرين يوماً والكاهن العجوز ينام بالقرب من قدمي العروس من شدة التعب، ثم يصحو في الصباح ليستأنف طقوس الزواج.

وبعد ذلك يجب إجراء عملية لتسوية أسنان العريس، فيأتي حلاق القرية، ومعه المبرد ليبرد الأسنان الطويلة، وتستمر هذه العملية ساعة كاملة، والعريس يصرخ وأسنانه تتكسر وتسقط والموسيقي تصدح، والطبول تدق بشدة لتغطي على صراخ العريس، وتظل العروسة محتقرة من أهل العريس شهراً كاملاً ثم يسمحون لها أن تزاول عملها كزوجة فتغسل الأطباق والحلل وتكنس أرض الدار، وعند ذاك يبحثون لها عن اسم غير اسمها القديم.

### في جزر مارشال

أما في جزر "مارشال" فلا بد أن يدعو الأب رجلاً من علية القوم يتناسب مركزه مع مركز العائلة ليفض بكارة ابنته، فإذا لم يوجد مثل هذا الرجل لجأ الأب إلى جزيرة أخرى للبحث عن رجل عظيم يقوم بهذه المهمة.. وهم هناك يفاخرون بأن العروس قد فض بكارتها.. فلان.

### حكاية شهر العسل

وفي بلاد شمال ووسط أوروبا كانت حفلات الزفاف تحدد في يوم اكتمال القمر، وهم يعتبرونها استعراضاً للقوة والجاه، والإعلان عن الثراء، وفي هذه المناسبة كانوا يقدمون نوعاً من الخمور مصنوعاً من عسل البنجر والخميرة، ويستمرون في الشرب أربعة أسابيع، ويسكر العروسان بعد حفل الزفاف ويواظبان على السكر بضعة أيام ربما تصل إلى شهر، ومن هنا جاءت تسمية "شهر العسل".

ومما يروى أن "أكيلا" ملك الهون الذي غزا أوروبا في القرن الخامس الميلادي شرب مقداراً كبيراً من هذه الخمر في ليلة زواجه؛ فمات من الإفراط في الشرب.

وكان من عادة بعض القبائل العربية – في الماضي– أن العريس والعروسة يغلقان عليهما الباب بعد الزفاف، ويظلان معاً أسبوعاً كاملاً ويقدم لها الطعام من كوة في الخيمة، حتى إذا اكتمل الأسبوع بعد الزواج خرج العريس وتسلق شجرة نخيل واقتطف بعض ثمارها ليصنع منها شراباً يسقيه لعروسه إعلاناً عن رضاه عنها وسعادته معها..

## حفلات الزواج عند بعض الأمم

من عادة معظم الأمم أن يكون للعروس المكان الأول ليلة زفافها فهي في هذه الليلة محط أنظار الجميع إلا أن بعض البلاد تشذ على هذه القاعدة فلا تظهر العروس حتى لو كانت تحتل مركزاً رفيعاً في الحياة الاجتماعية. وعادة حجب العروس لا تقتصر على البلاد المتأخرة بل تتعداها إلى بعض البلاد المتمدينة فما زالت بلاد الشرق تعمل حساباً للاعتقاد القديم بأن الزوجة يجب أن تختفي عن الزوج ولقد تمادى في تطبيق هذا الاعتقاد بعض قبائل إفريقيا والهند. ومن عادة بريطانيا الجديدة أن تبقى العروس بعيدة عن نظر زوجها مدة خمسة أيام وهي في بيته.

ولبعض قبائل جنوب إفريقيا عادة غريبة في الزواج تحتم على العروس أن تختبئ في كوخ بعيد ولكنها لا تستقر فيه طويلاً بل تنقل عنه إلى كوخ ثان وثالث وذلك بقصد تضليل الزوج وهكذا تبقى متنقلة من كوخ لأخر مدة طويلة قبل أن تسلم إليه.

وهناك قبائل من البدو تتعاون على خطف العروس ومساعدتها على الهرب والاختفاء بين التلال ويحدث ذلك في الليلة السابقة ليوم الزفاف، وفي الصباح يأخذ الزوج في البحث عن عروسه حتى يعثر عليها وعندئذ يبقى معها بين التلال يمضيان بقية يومهما.

ومن أغرب حفلات الزواج أن يتزوج كل من العروسين بشجرة المانجو ويحدث هذا في بلاد كوميس "Kumis" فيحتضن كل منهما شجرة مدة من الزمن ثم تحمل العروس بعد ذلك إلى منزله في سلة.

وفي بلاد الملايا نجد أن العادات والحفلات تختلف كثيراً عن المألوف؛ ففي القسم الجنوبي الغربي تتكون العائلة من الأم وأولادها أما الأب فلا وجود له في المنزل ولكن يسمح له بزيارة زوجه في المساء إذا رغب في ذلك حيث يرحب به أما بقية وقته فيمضيه مع أمه حيث يعيش معها وهو الذي يقوم بالصرف عليها بينما تعيش الزوجة مع أمها ويقوم شقيق الأم أو شقيق الزوجة بواجب الأب نحو جميع أفراد عائلة الأم.

وفي الأحياء القديمة من هذه البلاد تبنى عدة منازل فسيحة مزدانة بقرون الحيوانات ومزركشة بالنقوش، وفي هذا المنزل تعيش كل سلالة الأم أو الجدة أو أم الجدة "ويظهر أن في هذا خير علاج لمشاكل الحماة وزوجة الأبناء".

ومع أن المرأة هنا هي رئيسة العائلة إلا أنها لا تشترك في الاحتفال بالزفاف بل يترك ذلك المفاوضات تدور بين وكيل العروس ورؤساء العائلات بحضور الزوج المنتظر، ويشترط لصلاحية الزوج أن يمر بعدة اختبارات يؤديها أمام رئيس القرية "العمدة" حتى إذا ما نجح الزوج وانتهت المفاوضات أخذ أهل العروس في ترتيب كل ما يستلزمه عقد الزواج حسب ما يتراءى لهم.

وفي الجهات الأخرى يحتم على الرجل أن يعلن أهله برغبته في الزواج معيناً المرأة التي يرغبها زوجة له على أن تكون من قرية أخرى وعندئذ يتفق أقارب الخطيبين على الاجتماع في العراء حيث يجلسون على شكل دائرة على كتل من الصخر بين نغمات الموسيقى وقصص الحاكين وألعاب المصارعين ثم يتبع ذلك حفلة الموافقة.

ويلاحظ أن ليس للزوجة رأي في كل ذلك، وبعد الموافقة يبدأ الخطيب في إرسال الهدايا ويستمر في إرسالها حتى يحين يوم الزفاف.. في هذه الأثناء تتحمل الخطيبة الشيء الكثير من الألم في محاولتها التهرب منه.

وفي يوم الزفاف تزين بيوت الوالدين ويُبنى هودج عال في بيت العروس وآخر في بيت الزوج وتبقى العروس في هودجها أربعة أيام تحتفل بها خلالها، وفي نهاية المدة يأتي الزوج محمولاً على أكتاف أصدقائه في هودج به مساند يتوقف عددها على مركز العائلة _ ومن الغريب أن النساء يتقدمن هذا الموكب _ فلما يصل الحفل إلى منزل الزوجة يحدث هرج ومرج قبل أن يدخل الزوج المنزل ليقابل المأذون.

وتتلى آيات الذكر الحكيم بحضور الزوج والمأذون ولكن في غيبة العروس ولا يصرح للزوج في دخول حجرة العروس والجلوس بجوارها إلا بعد أن يجيب بمهارة على عدة أسئلة يوجهها إليه المأذون، ويتحلى العروسان بأثمن ما عندها من أنواع الزينة وهي في الغالب من الذهب الخالص، فإذا ما أنهت حفلة الزفاف يذهب الزوج إلى منزل والدته ويبقى

هناك ويزور زوجته كضيف حتى ولو رزق منها أولاد فإن هذا لا يخول له حق البقاء في منزل زوجته، ومن عادة هؤلاء القوم أنه إذا ما زاد النسل أضافوا بناءً إلى المنزل دلالة على زيادة السكان.

وفي قبائل القرغيز يدفع الزوج ثمناً كبيراً من الغنم كصداق، ومن عاداتهم أن يدعى أهل العروس وجيرانهم إلى مأدبة كبيرة يعلن فيها الزواج، ولكن لا يحضر هذه المأدبة العروسان وبعد الوليمة تبقى العروس في بيت أهلها مدة تتراوح بين شهرين وخمسة شهور تشتغل في أثنائها بتأثيث مسكنها وللعروس أن يزور زوجته أسبوعياً خلال هذه المدة على أن تكون الزيارة سرية، وبعد أن تكمل العروس أثاثها تنقل هي والأثاث إلى منزل الزوج، ويتظاهر أهل الزوجة دائماً بالامتناع عن تسليمها له ويقاومونه كثيراً.

وهكذا تختلف عادات الزواج في الأمم المختلفة، ويرجع ذلك إلى تأثير طبيعة البلاد ودينها ولو أردنا أن نتتبع منشأ هذه العادات والمراسيم فعلينا أن ندرس تاريخ المرأة وتطور وظائفها ومبلغ احترام الرجل لها في العصور المختلفة.

□

## عادات الزواج عند الغجر

يتبع الغجر عادات وتقاليد وديانة البلاد التي يعيشون فيها، وإن كانوا بطبيعتهم يظلون يؤمنون ببعض الخرافات المتوارثة عن الأسلاف، وهم لا يؤمنون بالوصايا العشر، ويسمون الله "ففلا" والشيطان "بانج" والصليب "تروشول".

ففي ترانسلفانيا حيث يكثر الغجر يتحتم على الفتاة الغجرية عند زواجها، أن تلقي بطبق عند أقدام خطيبها أمام قاض يطلق عليه اسم "جاكو"، وبعد ذلك تجمع بنفسها أجزاء الطبق وتحافظ عليها أشد المحافظة لأنها لو فقدت أو أصابها التلف تنفصم عرى الزواج.

وفي إسبانيا يتولى رجال الغجر اختيار أزواج بناتهم ولا يحق للفتاة أن ترفض، كما لا يحق للخطيبين أن يتقابلا قبل الزواج فإذا تصادف وتقابلا كان من المحتم أن يتحدثا كأفراد عاديين. وقديماً كان الأب يستطيع أن يقتل ابنته إذا حادت عن الطريق القويم! وأما الآن فإنه يقنع بعقابها عقاباً شديداً.

ويصف "جورج يورو" في كتابه "الغجر في إسبانيا" زواج الغجر يقول: وللزواج أهمية قصوى في نظر الغجر جميعاً: ذلك أن للشخص المتزوج قيمة كبرى في نبيلته، ولهذا يتفانى الشاب في الإسراف عند زواجه، فإذا كان غنياً قبل زواجه أضحى فقيراً معدماً بعده مباشرة، وأحياناً قبل أن تنتهي

حفلات الزواج. وإذا لم يكن لديه مال، فعليه أن يقترض ما يكفي لإقامة الحفلات الرائعة التي بدونها لا يعد ذا قيمة ولا يحسب في عداد المتزوجين، بل ويطرد من عشيرته، فيظل مديناً طول حياته ولكنه لا يأبه للدين، طالما أنه احتفل كما يجب بزواجه الميمون.

ويصف "بورو" حفلة زواج فيقول: يستمر القوم في الأكل والشراب والرقص والطرب طول اليوم، وفي الليل يبلغ الحفل ذروته، إذ يعد العريس طناً كاملاً من أنواع الحلوى المختلفة وعلى الأخص المصنوعة من صفار البيض الممزوج بالسكر، وتنثر هذه الكمية الكبيرة على أرض العزبة التي يقام فيها الحفل بحيث يبلغ ارتفاع طبقة الحلوى ثلاثة بوصات، وبعد أن يرقص المدعوون ويشربوا الخمر على الأرض المغطاة بالحلوى فترة معينة تكون الحلوى في خلالها قد تحولت إلى أشكال غريبة غطت أقدامهم حتى الركب، ينصرفون إلى حال سبيلهم على أن يكرروا هذا المشهد ثلاث ليال متوالية حتى إذا ما انتهت يكون الزوج قد بدد كل أمواله أو كل ما اقترضه.

وفي هنغاريا يقدم إلى رئيس القبيلة إناء كبير من الفخار مملوء بالنبيذ، يغمس فيه شفتيه ثم يطلب من كل من العروسين أن يغمس شفتيه فيه، وبعد ذلك يقذف بالإناء بكل قوته فيتحطم فتسرع النساء إلى جمع القطع المتناثرة وحصر عددها، وكلما كثر عددها كلما زاد عمر الزوجين.

وفي إنجلترا يتبع الغجر طقوساً واحدة ثابتة ولكنها غريبة حقاً، فهي تنحصر في أن يمسك والد العروس بمكنسة، ثم يقفز عليها كل من الشاب والفتاة. وبعد ذلك يصبحان زوجين، فلا حفل ولا هرج ولا شيء غير هذا. ويحرم الغجر الزواج من الأسرة نفسها، ولو أنه قديماً كان يباح للشاب أن يتزوج أخته. وفي إقليم بوهيميا تتمتع الفتيات بحرية الحب والعشق، وإن كان من العار إنجاب أطفال دون زواج شرعي حسب التقاليد المرعية.

في الهند الصينية يتحتم على الفتاة أن تبرهن على قدرتها على إنجاب الأطفال، وذلك بأن تحمل قبل الزواج. وليس في ذلك ما يعاب عليها، إذ أنه الدليل الوحيد على أنها منجبة لا عاقر وهي تقتل مولودها إذا أدعى أي رجل أنه من صلبه.

في كمبوديا يسمح للفتاة أن تقيم مع أي شاب تختاره قبل عقد الزوج! على أنها إذا حملت يجب أن تعلن اسم الرجل لأنه يتعين عليه أن يتزوجها حسب الطقوس؛ وأن يدفع علاوة على ذلك غرامة لأهل الفتاة تسمى "ثمن العار" ثم تضرب الفتاة بكل حذر لكي لا تجهض.

وفي سيام يسمح للفتيات باختيار أزواجهن وعندما تقرر الفتاة الاختيار، يحضر الخطيب إلى منزلها ويتبادل معها هدايا مؤلفة من السمك المملح والأرز المسحوق والحرير، وفي غداة العرس تسكب العروس على كل الحاضرين شراباً كريه الرائحة. وعند الزواج يقدم الرجل إلى أهل

العروس بائنة، يعطي جزءً ضئيلا منها إلى الزوجة والباقي عندما تلد أول مولود. وتعامل الزوجات عادة معاملة حسنة من أزواجهن، ويتبع الأغنياء تعدد الزوجات ولكن الزوجة الأولى تبقى دائماً سيدة البيت. ويميل أهل سيام إلى الأخذ بالنظم الحديثة في حياتهم وشئونهم ولا سيما في الزواج. ويصف المؤرخ "تريو" حفلة زواج في سيام على الطرق الحديثة فيقول:

يتم الزواج الآن بكل بساطة بينما كانت التقاليد القديمة تقضي بإقامة حفلات كبيرة تستمر أياماً؛ فالمسيحيون يقيمون حفلات الزواج في الكنيسة أو في مقر جمعية الشبان المسيحية وأما الآخرون فيتزوجون في المنازل أو في نادي أو أي محل عام. وقد تم الزواج الآتي وصفه في مدينة بيكين بين ابنة وزير في الحكم وابن حاكم سابق في سراي الوزير في ظهر أول يناير سنة ١٩١٨.

١–موسيقى ٢_ دخول المدعوين ٣_ دخول الأقارب ٤_ دخول رؤساء الأسر المعروفة ٥_ العريس والعروس يحنيان الرأس مرتين وهما متقابلان ٦_ العروسان يتبادلان الشهود ٧_ العروسان يتجهان إلى الشمال ثم ينحني كل منهما أمام الآخر مرتين ٨_ يقدمان الشكر إلى المدعوين الذكور ٩_ يشكران السيدات ١٠_ ينظران إلى الشمال ويمجدان الأسلاف ويحرقان البخور ويقدمان النبيذ ويركعان ثلاث مرات ثم يقفان ١١_ يقدمان الاحترام إلى آبائهما ١٢_ الكبار من الأسرة يقدمون الاحترام ١٣_ باقي الأقارب يقدمون الاحترام ١٤_ تحية من الجميع ١٥_ انتهى الاحتفال.

وعلى هذا الشكل يتم الآن زواج أفراد الطبقات المستنيرة والأغنياء.

لكل شعب في الزواج عادات تعارف عليها وتقاليد موروثة استوحاها من بيئته وطبيعته الخاصة على مدى الأجيال. وفي المقال التالي للكاتبة كلوديا دي ليس عرض لعادات بعض الشعوب فيما يختص بالمهر، ومن يدفعه من الزوجين وطريق الحصول عليه. أما شكسبير فيقول إن جمال المرأة يكفي لكي يكون بائنتها.

## العمل المجاني بديلاً عن المهر

في عهد الوثنية كانت الفتيات في آسيا الصغرى وفينيقيا وبعض البلاد الإغريقية يهبن أنفسهن لآلهة الخصب والنسل، لكي تتولى حمايتهن مدى الحياة، وكان كهنة المعابد يحرضون الفتيات على بيع أعراضهن كي يحصلن على الأموال اللازمة لتقديم الهبات والنذور إلى الآلهة حتى تعمل على تعجيل زواجهن. وكانت الفتاة تهب جسدها على مرأى ومسمع من أهلها ابتغاء مرضاة آلهة النسل.

## في سبيل جمع المهر

ولما قضت الديانة المسيحية على الوثنية أبطلت الفتيات هذه العادة واستبدلن بها بيع أعراضهن لجمع البائنة، وكان الناس لا يستهجنون هذا العمل ولا يرون فيه ما ينافي الأخلاق، بل كان أمرا طبيعياً ومألوفاً، وكثيراً ما كانت تتلقى الفتيات اللائي تزوجن بهذه الطريقة هدايا من أولئك الذين

بعن لهم أجسادهن يوماً ما، وكانت هذه الهدايا تعرض أمام الناس وكانت كثرتها دليلا على جمال الزوجة وفتنتها وقدرتها على الإغراء.

ولقد أبطلت هذه العادة في قبرص وأرمينيا وإسكنديناوة وغيرها من البلاد رسمياً بعد أن استمرت بها حتى القرن العاشر الميلادي، وأصبحت الفتاة بذلك حرة فيما تفعل من أجل الحصول على البائنة التي بدونها يتعذر زواجها.

ولا تزال عادة تقديم هدية إلى العروس مقابل خدمة معينة مرعية حتى اليوم في كثير من بلاد أوروبا، إذ أنه لا حرج عليها في أن تمنح أي شخص قبلة أو رقصة، ولا يزال "الأبكا" في "بيرو" بأمريكا الجنوبية يحضون فتياتهم على جمع البائنة ببيع أعراضهن.

وكانت القرويات الإغريقيات اللائي يملكن بائنة يضعن حول رؤوسهن أشرطة ملونة تتدلى منها قطع من الذهب والنقود ليلفتن إليهن أنظار الشبان الراغبين في الزواج، وكثيراً ما تهافت الشبان على طالب يد صاحبة أكبر مبلغ من المال دون النظر إلى أي اعتبار آخر، ولا تزال هذه العادة متبعة حتى الآن في بلاد الجزائر.

وفي مراكش يحوي عقد الزواج بيانا مفصلا بكل ما تقدمه الزوجة من مال أو حلي أو نحو ذلك، وفي روما القديمة حرمت الأحكام الرادعة على الفتاة الاتجار بعرضها للحصول على البائنة التي كان عليها أن تؤديها في حالة يسارها، وعلى الشاب أن يقدمها إذا كان غنيا، ولكن في أواخر عهد

الجمهورية صدر القانون اليولياني الذي جعل البائنة على الفتاة وحدها تقدمها إلى خطيبها حسب حالتها المادية.

### الأب يدفع المهر

وتلعب البائنة في بعض بلاد البلقان دوراً عظيماً في حياة الفتاة، وكان من عادة الأب أن يمنح ابنته عشر إيراده في كل عام منذ ولادتها حتى خطبتها ليكون المبلغ المدخر بمثابة بائنة تقدمها إلى خطيبها أو يمنحها عشر أملاكه عندما تبلغ سن الزواج حتى يسهل لها أمره.. وإذا كانت الفتاة معدمة قضي عليها أن تكون محظية لرجل غني أو عبئا على من يقبل أن يتكفل بها من الرجال.

والقاعدة السائدة الآن في أكثر بلاد العالم هي أن تقدم الفتاة لخطيبها بائنة من مال أو أثاث منزل أو غير ذلك طبقاً لقوانين وضعية أو لعادات مرعية، ولذلك أصبحت البائنة محور التفكير عند الآباء والأمهات الذين يبذلون قصارى جهودهم لتوفيرها لبناتهم، حتى إذا ما بلغن سن الزواج لا يشعرن بالنقص أو المذلة اللذين قد يدفعان بهن إلى الفساد للحصول على البائنة التي تعتبرها بعض الشعوب ملكاً للزوجة ترد إليها في حالة الطلاق، أو بمقتضى الوصية في حالة وفاة الزوج.

ولم تعد البائنة في فرنسا إجبارية بمقتضى قانون نابليون، ولكن معظم الشبان يتشددون في طلب بائنة من الفتيات، وفي كل البلاد الأوروبية إذا طلب أحد الشبان يد فتاة فقيرة لا تملك بائنة قامت صديقاتها بجمع

التبرعات والهدايا من أجلها وكثيراً ما يقبلن الرقص مع المتبرعين ويسمحن لهم بالتقبيل أو التنزه معهن، ولم تعد للبائنة قيمة أو أهمية الآن في إنجلترا. ويفضل الرجال في سيبيريا الزواج من المرأة التي تملك أكبر عدد من حيوانات الرنة حيث إن لهذا الحيوان قيمة تفوق قيمة المال.

## العمل المجاني بديلاً عن المهر

هذا ولا تزال بعض الشعوب المتأخرة تحتم على الشاب – إذا كان فقيراً معدما – أن يقوم بعمل مجاني لمدة تتراوح بين عام واحد وسبعة أعوام لأسرة خطيبته، وهي تتبع في هذا العادة القديمة التي ورد ذكرها في العهد القديم، وهي الزواج مقابل خدمات مجانية كما فعل يعقوب، إذا خدم لدى عمه "لابان" أربعة عشر عاما تزوج في خلالها ابنتيه، أي بمعدل سبع سنوات لكل واحدة منهما.

ويحدد الهندوس مدة العمل المجاني بسبع سنوات يحق للشاب بعدها أن يطلب يد إحدى بنات صاحب العمل، على أن يتكفل والد الفتاة بكل نفقات العرس ومعداته، وعليه أيضا أن يعطي للزوجين بقرة وثورين وبعض الأواني النحاسية وصندوقاً من الخشب وكمية وافرة من الأرز تكفيهما مدة سنة على الأقل.

وتوجد في سيلان عادة غريبة في الزواج يطلق عليها اسم "بينار" وهي تحتم على طالب الزواج أن يقطع علاقاته نهائياً بأسرته ليعمل عند أسرة

فتاته مدة معينة يتزوج بعدها شرعاً ويقيم مع أسرة زوجته التي ينسب إليها وحدها الأولاد الذين يعقبهم من زواجه.

وتنتشر في شمال شرق سيبيريا وبين هنود أمريكا وفي المكسيك وعند قبائل البرازيل، عادة تعدد الزوجات، وفي كل مرة يعمل الرجل مدة غير محدودة عند والد الزوجة الجديدة قبل إتمام الزواج، غير إن مدة العمل الإجباري المجاني تحدد لدى قبائل البرازيل بسنة واحدة يقاطع الزوج بعدها والد زوجته مقاطعة تامة.

وتوجد عادة طريفة بين بعض قبائل أمريكا الجنوبية في الزواج، وهي أن يذهب الشاب إلى مسكن الفتاة التي يحبها وهو يحمل مشعلاً وبعض الطعام ويطرق الباب بهدوء، وعندما يسأله والد الفتاة عن أمره وبغيته، يجيبه بأنه جاء ليطلب يد ابنته، فإذا سكت الأب ولم يجب بشيء اعتبر صمته قبولاً منه فيعود الشاب من حيث أتى وتصبح الفتاة زوجة له بعد عام بالضبط.

ولقد اختلفت الروايات فيما يتعلق بالبائنة عند قدماء المصريين، على أن معظم النصوص ترجح أن الرجل كان دائماً قواماً على المرأة في عهدهم، وكان عليه تبعا لهذا أن يضع عنها البائنة، أي أن يوفيها مهرها، ويتضح لنا ذلك من وثائق الزواج عندهم، إذ كان العريس يقول لعروسه: "أعطيتك مهراً كذا، فإذا أبغضتك وتزوجت غيرك في حياتك، أعطيتك مبلغ كذا خلاف المهر، وصارت جميع أموالي الحاضرة والمستقبلة تأميناً

لك، وضماناً للوفاء بهذا العهد"، فتجيبه المرأة قائلة: "لقد قبلت زواجك ومهرك، فإذا أبغضتك أو أحببت غيرك، أرد لك مهرك وأتنازل لك عن جميع أموالي".

## غرائب العادات.. الزوج وحماته

ليس من السهل أن نتتبع الأصل في خوف الزوج المأثور من حماته. ويبدو أن أهل القبائل البدائية الذين كانوا يعيشون معاً كانوا يتخذون بعض المحرمات Taboue حائلا لمنع الاتصال الجنسي بين الأزواج وحمواتهم. ويبدو كذلك أن الخوف الشديد من هذه الصلة الجنسية كان يدل على شيء، ومن عادات الشعوب البدائية أن الزوج إذا انتمى لقبيلة أخرى حرم عليه أن يصبح عضواً في قبيلة زوجته، وترتب على ذلك أن أم الزوجة كانت ترفض الاعتراف بالزوج أنه قريب لها.

ويرى الأستاذ تيلور وهو من الثقات في علم الاجتماع أن انفصال القرابة بين القبيلتين هو الأصل في التابو Taboue الذي يحيط بالحماة، ويرى بعض المؤلفين الآخرين أن علة ذلك ترجع إلى زواج السبي أو الأسر، حيث أن أم الزوجة لم تكن لتصفح أبداً عن الرجل الذي يختطف ابنتها، وقد ظل هذا الحقد منقوشاً في وعي الإنسانية على الرغم من التغييرات العظيمة التي لحقت صور الزواج.

ومن غرائب العادات في قبيلة "الزولو" أن الرجل الذي يخاطب حماته يجب أن يقف على مسافة بعيدة وعليه أن لا ينطق باسمها، لأن مثل هذه الألفة تستتبع شيئاً من السلطان عليها، وفي أغلب الأحيان لا يتصل معها في الحديث إلا عن طريق شخص ثالث، وإذا حدث أن التقى الزوج بحماته مصادفة فإنه يظهر وكأنه لا يعرفها، وفي أمثال "الزولو" الشائعة أن الزوج

لا يجب أن ينظر إلى وجه حماته بدعوى أن "الرجل لا يجب عليه أن يرفع بصره إلى وجه المرأة التي أرضع ثدياها زوجته".

ولقد وضع أغلب شعوب أستراليا البدائية وميلانيزيا وبولينزيا قوانين تحدد الصلة بالحموات؛ وعند بعض هذه الشعوب إذا قابل الرجل حماته بصق على الأرض، لكي يصرف جميع التأثيرات الشريرة الناشئة عن هذه المقابلة، وفي منطقة أعالي النيل لا يكلم الزوج حماته إلا إذا فصل بينهما جدار.

ولا يرفع أهل قبيلة نافاجو Navagos الهندية أبصارهم إلى الحماة خوفاً من غيابها عن البصر بعد ذلك، وقامت في بعض قبائل الهند عادة غريبة هي أن يتزوج الزوج حماته قبل الزواج من ابنتها ليتجنب "تابو" الحماة.

### الفاكهة المحرمة، وعقوبتها

كان أجدادنا الأولون يعدون الزنا جريمة منكرة يعاقب مرتكبوها بالإعدام غالباً، وكانوا يرجمون الزاني حتى الموت، وإذا خفف العقاب قطعوا أنفه أو أذنه.

وفي الجزائر لا يتبع المسلمون أحكام الإسلام، فعندهم أن القبلة دليل يكفي لإثبات الفسق، فينزلون بالمرأة أقسى أنواع العقوبات، والموت

هو الغالب، أما الرجل فيدعى للمبارزة، ويقتل أبناء الزنا هم وأمهاتهم، وإذا حاولت قبيلة المرأة تخليصها، وجب أن تدفع دية كبيرة.

وفي بعض القبائل لا يحفل الزوج دائماً بعادة قتل الزانية، غير أنها تفقد صفتها الزوجية، على حين أن شريكها في الزنا يخضع لعقوبات تعيد إلى الزوج شرفه. وعند بعض القبائل الهندية وفي بورنيو ومنغوليا، يقبل الزوج باختياره تعويضاً عن جريمة الزنا إذا ارتكبتها زوجته، وفي باتاجونيا يرضى الزوج بقبول هدية ثمينة من حبيب زوجته، وفي بعض الأحيان يرسل الزوج زوجته إلى الغابة تعرض نفسها لأول شخص طلباً الثروة.

ويقضى على الزانية في الصين بالسجن، وإذا عفا الزوج عنها بعد فضيحتها جلد الزوج عشرين جلدة، وإذا تقدمت المرأة الزانية إلى القضاء وحكم عليها بثبوت الجريمة فلزوجها الحق في أن يبيعها لمن يشاء، وليس للزوج أن يدفع بزوجته إلى البغاء وإلا تعرض للعقاب.

ويروى عن الكلدانيين أن الزانية كان يحكم عليها بأن تسير في الشوارع نصف عارية معرضة لسخرية المارة. ولقد شرعوا خصي الزاني عقاباً له على هذه الفعلة.

### نائب الزوج

ومن أغرب عادات بعض قبائل الإسكيمو أن يحل شخص محل الزوج في غيابه، ولقد شاع في إيطاليا في القرن السابع عشر نظام الفارس

الخادم الذي يؤدي مثل تلك الوظيفة، ومهمته مصاحبة الزوجة إلى كل مكان في أثناء غياب الزوج، ولقد كان هؤلاء الفرسان ملوثين ومخنثين وفي تصرفاتهم كثير من الشذوذ. ويعتقد الإسكيمو في خرافة تقضي بأن الأرواح الشريرة كفيلة بالقضاء على الزوجة غير العفيفة، ولهذا السبب كانوا يثقون في زوجاتهم.

وينص قانون ماني، وهو أحد حكماء الهند الأقدمين، على أن فسق الرجل لا يعد ذنباً كبيراً، وعلى الرغم من أن سلوك الزوج قد يكون شائناً باتصاله بالعاهرات، فإن زوجته الفاضلة يجب أن تنزله منزلة الاحترام بل القداسة. وينص القانون في شريعة ماني على أن المرأة الفخور بأسرتها وطبقتها إذا زلت قدمها، فعلى الحاكم أن يأمر بأن تنهش الكلاب جسمها في الطريق العام. وتختلف عقوبة الزنا في الهند باختلاف الطبقات، والأغلب أن هذه العقوبة في مصادرة الملك لمدة سنة والسجن وقتاً معيناً، وفي بعض الأحوال الأخرى يفرضون على الفاسق غرامة كبيرة، ويحلقون رءوسهم، ويصبون عليهم بول الحمير دلالة على التحقير، وفي بعض المقاطعات التي تحرم فيها اتصال رجل من طبقة بامرأة من طبقة أخرى، يعاقب الزاني بالخصي والحرمان من أملاكه.

ويقول حكماء الهند إن الاهتمام بالمرأة، وإرسال الزهور والعطور إليها، والجلوس معها على أريكة واحدة كل ذلك أدلة على حب شهواني، وإذا لم ينجب الزوجان أطفالاً ففي استطاعة الزوج أن يلزم زوجته بالاتصال بأخيه أو أي قريب آخر، على أن يدهن القريب جسمه بالزيت،

ثم يتسلل في الليل إلى مكان العاقر، فيتصل بها لتحمل منه مرة واحدة فقط.

أما هنود أمريكا فعلى الرغم من شيوع عادة تبادل الزوجات عندهم رمزاً للصداقة، فقد كان الزنا محرماً أشد التحريم، إذ ينتزعون أنف الزانية وأذنيها بأسنانهم. وفي جاوه يقتصر العقاب على الازدراء، وفي بورنيو لا يطلبون من الفاسق تعويضاً معقولاً، وكانت الزانية في فارس توضع في كيس ثم تأتى في الماء حيث تموت غرقاً. ومما يروى في قصص الفرس عن بشاعة العقوبة لهذه الجريمة ما ذكره المؤلف ستراوس في كتابه حيث قال: "في ٩ يونيه ١٦٦١ انتقم أحد الفرس من زوجته الزانية بأن شنقها حية وسلخ جلدها، ثم عرضه في البيت إعلاناً لغيرها من النساء" غير أن الفرس يعاقبون بشدة أولئك الذين يشنقون زوجاتهم. وأغرب ما يقع في سيبريا هو أن زوج المرأة التي فرطت في نفسها يدعو حبيبها إلى مصارعة بدنية، وللظافر الحق في ملكية المرأة.

وتعد المرأة في طسمانيا وأستراليا ملكاً شخصياً للزوج يستطيع أن يعيرها أو يؤجرها حسب ما يشاء، ومع ذلك فإن المرأة التي تزني دون إذن زوجها تعاقب عقاباً شديداً، وعند بعض القبائل الأسترالية التي تعترف بنظام الطبقات تعتبر المرأة ملكاً شائعاً لجميع أفراد القبيلة من طبقة واحدة، فإذا اتصلت برجل من طبقة أخرى قتل الرجل رمياً بالسهام.

## غرائب الطلاق

الطلاق هو انحلال عقدة الزواج، وأكثر بلاد العالم زواجاً وطلاقاً هي الحبشة، فأي سبب يصلح للطلاق وعندئذ يلحق الأبناء الذكور بأمهم، والبنات بأبيهم. أما في جزر الوشيان فإذا سئم الزوج زوجته استبدل بها بعض الملابس. وبعض قبائل الهند لا تسمح مطلقاً بانفصال الرجل عن امرأته إذا كان لهما أطفال، وبعض القبائل الأخرى تحرم الطلاق أصلاً.

وكان في استطاعة الزوج الأنجلوسكسوني أن يطلق زوجته لأحد الأسباب الآتية: وهي الإسراف والعقم وسوء السلوك والشراهة والإدمان على الخمر وما إلى ذلك من الأسباب. وتستطيع الزوجة في بورما أن تطلق من زوجها إذا لم يكن في إمكانه الإنفاق عليها.

ويعد الزواج عند البرهميين رباطاً يستمر مدى الحياة، لذلك كان الطلاق بينهم نادراً ـ حتى في حالة الزنا ـ وعندئذ يخترع الأصدقاء والأقارب مبررات تخفف من عبء الجريمة حتى لا تدنس شرف القبيلة بأسرها.

وكان الزوج في كلدانيا يكتب إلى صهره يطلب الانفصال من ابنته أو بأن يوقع الطلاق عليها قائلاً: "لست زوجتي" أما المرأة التي تقول لزوجها "لست زوجي" فمصيرها الموت غرقاً. وكانوا ينظرون إلى المطلقين باحتقار في الزمن القديم، وخاصة في أثينا.

وفي الصين أسباب سبعة تدعو إلى الطلاق: عصيان المرأة لأهل زوجها، والعقم عن الأطفال الذكور وسوء السلوك والغيرة، وطول اللسان، والسرقة، والبرص. وإذا كان أهل الزوجة عاجزين عن الإنفاق عليها فلا يستطيع الزوج أن يرسلها إليهم حتى لا تنزلق إلى البغاء

ويقضي قانون "ماني" في الهند بأن يحرم الطلاق على الهندوس، ومع ذلك فهنالك بواعث عدة تحلل الطلاق منها الاعتياد على شرب الخمر وسوء السلوك، ومخالفة أمر الزوج والتبذير والإصابة بمرض عسير الشفاء. ولا يحق للزوج أن يستبدل زوجته العقيم بأخرى إلا بعد ثماني سنوات.

وفي جزر "هايتي" يستعمل الأهالي عادة الزواج بالتجربة، وهذه العادة الغريبة تسمح لأهل الطبقة الدنيا أن يعيشوا مع النساء مدة سنوات للتجربة، وقد ينجبون خلالها أطفالاً، ويستطيع الرجل أن يعيش مع عدة نساء في آن واحد، ولا يتزوج واحدة منهن إلا إذا توفر له المال الكافي، ولما كان الفقر صفة دائمة لا يمكن التخلص منها فلا يتزوج مثل هؤلاء القوم في الغالب.

## شهر العسل عند شعوب العالم

يجري هذا الاصطلاح على الألسن، ولكن أغلب الناس لا يعلمون السر في هذه التسمية، فهي ترجع إلى التيوتون الأقدمين، وكانوا يقصدون منها هذه الفترة التي تبلغ أربعين يوماً بعد الزواج، والتي كان الزوجان ينهلان فيها من "شراب العسل". ويذهب البعض إلى أن ملك الهون "أتيلا" والذي كانوا يسمونه "غضب الله" مات في ليلة زواج سالت فيها الدماء، بعد أن أريق كثير من شراب العسل في أثناء الحفل.

وكان من عادة الزوجين في قديم الزمان أن يختفيا عن الأنظار، بعد أن يخطف الزوج زوجته، وذلك خشية غضب الأب وثورته. ولعل عادة شهر العسل والرحلة فيه أن تكون أثراً لهذه العادة القديمة. وكان الزوجان يحملان حين عودتهما بعض الهدايا للتخفيف من الحنق الأبوي. وكانت الأمور تجري كذاك عندما تهرب البنت وراء حبيبها.

وفي كثير من الشعوب انتشرت عادة اعتكاف حديثي الزواج إلى بضعة أيام، ولقد كانت هذه الأيام تبلغ في يافا أربعين عدداً، وهذا ما يسمونه شهر العسل المفروض، على أن أغرب العادات هي بلا ريب تلك التي كانت تقضي بأن يظل الخطيبان مختفيين قبل زواجهما دون أن يسمح لهما برؤية أحد أو القيام بأي عمل.

وما يجري على لسان الشعراء "التهنئة الهبلية" وهو اصطلاح برجع إلى مدينة هبلا Hybla من أعمال صقلية، وقد اشتهرت بعسلها.

ولصناعة شراب العسل، ثلاث طرق مختلفة، وتختلف أسماؤها باختلاف تركيبها، وتختلف تركيباتها باختلاف المناطق وأنواع الأعشاب الداخلة في صنعها.

وشراب العسل المسمى هيدرومل Hydromel مزيج من القرنفل والزنجبيل والعبوثران وهو عشب جبلي، ومن العسل والماء، ثم يخمر كل ذلك بخميرة البيرة. وقد وصف أحد الكتاب هذا المزج فقال "يستخلص العسل بعناية من أقراصه، ثم يذاب الشمع، ويضاف إليه مقدار من العسل يخفف قوامه حتى يمكن أن يطفو على سطحه صفار بيضة طازجة. وفي هذا المزيج مصدر القوة. ثم يصب السائل في البراميل بعد إضافة قليل من خميرة البيرة إليه، حتى إذا نضج تخميره سدت البراميل سدا محكماً".

أما الاعتقاد في الأيام والأشهر السعيدة للزواج فيختلف باختلاف البلاد. فعند الرومان واليونان لم يكن شهر مايو وأوائل يونيه من علائم الزواج السعيد، إلا إذا كان القمر بادراً أو هلالاً. وكانوا يعتقدون أن الزواج في شهر مايو مصدر الحظ العاثر طول العام، كما أنه لا يثمر إلا أطفالاً مرضى.

ويعتقد الهندوس في شهر مارس وإبريل، وعلى الخصوص في مايو ويونيه. وليس هذا من قبيل التطير، بل لأنه في هذه الأشهر تدفعهم الحرارة

الشديدة إلى إيقاف أعمالهم، حتى إذا انتهى الحصاد، وامتلأت أيديهم بالأموال تيسر لهم الصرف ببذخ على حفلات الزواج الباهرة.

ومن العسير أن تجد في الأشهر الأخرى أياماً تحمل طالع السعد لأن الأزياج تعقد الأوقات حيث تجعل الزواج مستحيلاً.

وفي إيطاليا أحب الشهور إليهم هو يونيه، ويفضل الفلاحون الزواج في يوم الأحد لأن الإيطاليين يعتقدون أن الزواج في يوم الاثنين لا ينجب إلا أطفالاً معتوهين، وفي يوم الثلاثاء ينشأ أول مولود كسيحاً، والخميس يوم السحرة والجنيات الثلاث، والأربعاء والجمعة من أيام الصوم. غير أن الأرامل قد يتزوجن يوم السبت دون أن يتعرضن لخطر النحس.

ويستشير أهل الصين تقويمهم قبل الزواج إذ فيه يجدون الأيام السعيدة مسطورة، ولا يعد سبتمبر من شهور السعد على حين أنها شهور الربيع وشهر ديسمبر ملائم كل الملائمة.

ومن الملاحظ في أوركنيا واستونيا والهند واليونان وألمانيا ذيوع عادة الزواج عند الهلال أو البدر. وفي ألمانيا يعتقدون في أن يومي الثلاثاء والسبت من الأيام التي تجلب السعد.

وفي إيقوسيا، لا يعد شهر مايو شهراً سعيداً، ويفضل الزوجان العقد في أول يناير حسب الاعتقاد المألوف من أن ابتداء عمل جديد في أول السنة الجديدة يعد توفيقاً.

ويتزوج الكاثوليك غالباً في إبريل إذ ينتهي فيه الصوم الكبير، ويعتقد كثير منهم بأن شهر مايو نذير شؤم، بينما يونيه وأغسطس وسبتمبر وديسمبر ويناير لا بأس بها. وتجرى عند الكاثوليك بعض الأمثال منها: "الزواج في الصوم، حياة تندم عليها"، ومنها: "لا يجب أن تختار زوجتك فحسب، بل وقت الزواج أيضاً".

ويقع الاختيار على يوم الزواج في بروكسل تبعاً لمنزلة الزوجين الاجتماعية، فللأغنياء يوم الثلاثاء، وللأوساط الساعة الحادية عشرة صباحاً من يوم الأربعاء، وللعامة يوم السبت لأنه لا نفقة فيه. ويشيع في فرنسا كثير من الخرافات المتصلة بيوم أو شهر الزواج، ولا تزال إحدى العادات موجودة في بورجونيا حتى الآن، وهي تقضي بأن يخرج شباب الفلاحين أيديهم من النوافذ عند منتصف الليل في آخر يوم من شهر فبراير، حتى إذا سمعوا الساعة تدق الثانية عشرة، غنوا بصوت رقيق:

صباح الخير يا مارس.

كيف حالك يا مارس.

أرني في نومي من سأحبه في يقظتي.

ثم ينامون بعد ذلك وهم على يقين من أن الحبيب الموعود سوف يزورهم في الأحلام. أما في سويسرا، وفي لوسرن بوجه خاص، فتعد جميع أيام الاثنين من شهر فبراير أياماً سعيدة. وإذا اتفق أن وقع يوم الزواج مع عيد ميلاد الزوج فهو طالع سعد للزوجة، إلا إذا كان التاريخ ١٣ ولا ينبغي بأي حال أن تقترن الزوجة في عيد ميلادها.

## قصة اليهودي التائه

اختلف المؤرخون والكتاب اختلافاً كبيراً في أمر اليهودي التائه؛ فذهب البعض إلى أن قصة حياته وعذابه وتشرده على مدى الأجيال ليست إلا خيال شاعر في حين أكد البعض الآخر أنه إنسان حقيقي شوهد في كثير من المدن والبلدان في عصور مختلفة، ولا يعنينا في هذا المقام صحة القصة أو خطأها بقدر ما يعنينا معناها الرمزي الصادق، فإن ذلك اليهودي الذي حكمت عليه الأقدار بالحياة الدائمة المتجددة يقضيها طريداً هائماً ضالاً يرمز إلى الشعب اليهودي كله.. ذلك الشعب الذي ارتكب من الآثام والجرائم خلال كل عصور التاريخ ما لم يرتكبه شعب غيره والذي يريد أن يتوج سلسلة جرائمه المنكرة باغتصاب الأرض المقدسة _ فلسطين _ من سادتها وأصحابها!

وما أحرانا اليوم بأن نذكر تلك القصة ونستعرض تاريخها ونستخلص عبرتها لا على أنها معجزة ونبوؤة بل إيماناً منا بأن ذلك الشعب المادي الذي يعمد دائماً إلى التحكم في مصائر الجشع كل شعب يستضيفه، عن طريق الاستيلاء على ثروته ومصادر أرزاقه لن يجد يوماً ما أمة من الأمم تأمن جانبه وتثق فيه وترضى له أن يعيش على أرضها ليحتكر خيراتها لنفسه ويوردها موارد التهلكة والدمار، وإلى القارئ الكريم تاريخ تلك القصة العجيبة.

"إن اللعنة الساحقة الماحقة تتعقبني إلى الأبد.. إنني لا أستطيع الموت، يا إلهي إنني لا أستطيع الموت ولن يعرف جسدي الذي هدته المتاعب طعم الراحة.. إنني سأبقى دائماً أسير هذا الجسد الذي يشبه لونه لون الجثة الهامدة التي تفوح منها الروائح النتنة.. يا نقمة الله، أما من لعنة أخرى أكثر قسوة وبشاعة تقضي علي قضاء كلياً وتريحني؟!". تلك هي العبارات التي وضعها أحد شعراء الألمان على لسان اليهودي التائه يبكي فيها حظه القاسي الذي يدفعه على الدوام إلى الهيام في أنحاء الدنيا شريداً طريداً ضحية لآثام جنسه.

هل كان اليهودي التائه شخصية حقيقية؟، وهل مازال يتابع تشرده الدائم؟ وهل قدر عليه ألا يعرف طعم الراحة إلا يوم ينفخ في الصور ويرث الله الأرض ومن عليها؟

لقد انتشرت في ألمانيا خلال سنوات الحرب الأخيرة إشاعات كثيرة بعثت قصة "اليهودي التائه" من مرقدها، وكانت كل هذه الإشاعات تدور حول متشرد يهودي نجا بمعجزة من كل صنوف التعذيب التي صبها الألمان على رأسه ولما أعيتهم الحيل فيه وضعوه في غرفة الغاز السام الشهيرة بمدينة بلسن فمات مختنقاً ولكنه اختفى بطريقة سرية قبيل دفنه بقليل ولم يسمع عنه أي شيء بعد ذلك!

إلى أي حد نستطيع أن نصدق هذه القصة؟

وإذا كان ذلك اليهودي الذي عاد إلى الحياة بعد أن جرب معه النازيون كل صنوف التعذيب التي نبغوا فيها مازال يذرع أرجاء الأرض، فهل هو ذات اليهودي التائه الذي عرف له التاريخ ثلاثة أسماء هي "كارتافيلوس" و"يوسف" و"أشورش".

وقد كانت قصة اليهودي التائه ذائعة منتشرة خلال العصور الوسطى، ولكنها عرفت قبل ذلك فقد بدأ الناس يروونها خلال القرن الثالث عشر، ولم تبق قصة عالقة بالأذهان خلال القرون التالية مثل تلك القصة وكثير من الناس في عصرنا هذا يؤمنون بصحتها خاصة في أوروبا.

ويذهب البعض إلى أن القصة من اختراع أحد رجال الدين أو أحد الشعراء وأن صاحبها أراد أن يرمز بها إلى مصير الشعب الإسرائيلي كله فقد طلب اليهود من "بيلاطس البنطي" الحاكم الروماني قتل السيد المسيح قائلين "إذا كان ثمة جريرة في قتله فسنتحمل نحن ذنبه" وقد تنبأ المسيح عليه السلام بما سيحل باليهود بعده، وقد وقع ما تنبأ به وظل اليهود منذ عهده حتى أيامنا هذه هدفاً للتشريد والاضطهاد، وقصة اليهودي التائه تذهب إلى أن هذه الحال ستستمر إلى أبد الآبدين.

وقد أنشأ الشاعر الفرنسي "بيرانجيه" قصيدة طويلة سرد فيها القصة ووضع على لسان صاحبها هذه الأبيات:

"اعطف على حالي أيها المؤمن، ومد يدك لي.

وأنت على عتبة دارك، بكأس من الماء...

نعم، نعم، إنني اليهودي التائه.. الأعاصير تدفعني دواماً..

والشيخوخة تثقل كاهلي ولكنني مازلت حياً..

وكم أتضرع لربي أن يذهب بحياتي..

كل ليلة أنتحب متوسلاً، وأبكي بكاءً مراً..

لأني سأرى الفجر ثانية ونور النهار..

إن الحياة التي سأظل أسيرها على مدى الزمان تسحقني سحقاً".

والقصص التي تروي مغامرات اليهودي التائه نشأت في الغالب في فرنسا وألمانيا، ولكن أقدم سجلات هذه القصة وجدت سنة ١٢٢٨ في دير سانت ألبان بإنجلترا؛ فقد حدث أن قام أسقف أرمني برحلة إلى إنجلترا وحل ضيفاً على ذلك الدير وقص على رهبانه قصة إسكافي يدعى كاتافيلوس كان في القدس وقت محاكمة المسيح، ثم حلت عليه اللعنة من أجل وقاحته، وأنه ما زال حياً يهيم في أرجاء الأرض.

### سبب اللعنة

وقد تنوقلت القصة حتى دوَّنها أحد رجال الدين بباريس، وإلى القارئ مقتطفات من أقدم سجل تاريخي للقصة: "جُرّ اليهود السيد

المسيح من قاعة المحاكمة حيث حكم عليه بالصلب وحدث أن تعثر ووقع على عتبة القاعة وكان "كارتافيلوس" حارس الباب فدفع المسيح في وقاحة ولكمه على ظهره بقبضة يده وقال له ساخراً: أسرع لماذا تتمهل؟ فالتفت إليه المسيح ونظر إليه نظرة قاسية وقال: أنا سأذهب أما أنت فستبقى، وقد كان كارتافيلوس في الثلاثين من عمره عندما حلت عليه اللعنة، وعندما بلغ المائة انتابه هزال فظيع انتهى بغيبوبة طويلة عاد بعدها شاباً كما كان تماماً وقت الحادث وتكرر ذلك معه حتى الآن. وبعد المسيح تسمى "كارتافيلوس" باسم يوسف، وتذهب القصة إلى أن يوسف هذا يعيش الآن في بلدان الشرق المختلفة وهو رجل شديد التحفظ، قليل الكلام، نادراً ما يبتسم أو يتبسط في الحديث وقلما يبدي الاستياء أو يوجه لوماً إلى أي فرد من الناس.. وهو يذكر دائماً أن بعض الرسل قد اقترفوا بعض ما يعاب ثم غفر لهم، ولذا فهو يأمل أن الرحمة الإلهية قد تشمله يوماً كما شملتهم"

والأسقف الذي قص هذه القصة على الرهبان يذكر أنه قد عرف "يوسف" هذا شخصياً، وأنه استمع إليه وهو يروي تاريخ الأزمنة المختلفة التي عاشها، وقد كان هذا التصريح الصادر من أحد رجال الدين مدعاة إلى الإيمان بالقصة التي سرعان ما انتشرت في أرجاء فرنسا وهولندا وبلجيكا ثم ألمانيا حيث كان تأثيرها في النفوس أكثر تغلغلاً منه في أي مكان آخر.

## براهين أخرى

"ليس لدي من أخبار أنقلها إليك، ولكني سأقص عليك قصة غريبة سمعتها مع غيري من "بول دتزن" العالم الديني وأسقف مدينة شلزفنخ الألمانية: "قال ذلك العالم أنه ذهب في شتاء عام **١٥٤٢** ليزور والديه في هامبورج، وأنه ذهب في يوم الأحد التالي إلى الكنسية، وفي أثناء إلقاء الموعظة شاهد أمام منبر الواعظ رجلاً مديد القامة عاري القدمين تتدلى خصلاته الطويلة على كتفيه وأنه كان يستمع إلى الموعظة في اهتمام بالغ حتى أنه لم يأت أية حركة إلا عندما ذكر الواعظ اسم السيد المسيح فنكس الرجل رأسه وخبط صدره بيده وثقل تنفسه.. ولم يكن ذلك الرجل يرتدي إلا ثوباً واحداً بالرغم من شدة البرد وفوقه عباءة تتدلى حتى قدميه وكان يبدو عليه أنه في الخمسين من عمره وقد أثار منظره اهتمام العالم الديني الذي قص علينا هذه القصة فسأله عن هويته فقال أنه يهودي وأن اسمه "أشورش" وأن مهنته صناعة الأحذية، وأنه رأى المسيح ثم بقي حياً منذ ذلك التاريخ، وقضى حياته في ممالك مختلفة وإلى جانب ما سبق"

وهو يتفق اتفاقاً تاماً مع القصة التي نقلت عن دير سانت ألبان في القرن الثالث عشر "فقد تحدث ذلك اليهودي مع "بول ويزن" عميد مدرسة هامبورج وهو رجل واسع الثقافة يعرف تاريخ الشرق منذ وقت المسيح حتى وقتنا الحالي معرفة عميقة شاملة، وقد أثار حديثه دهشة الرجلين لدقته وشموله وعمقه ومطابقته مطابقة تامة للتاريخ.

"أما عن أخلاقه فقد كان صموتاً متحفظاً لا يتكلم إلا إذا سئل، وإذا ما دعي للطعام أكل وشرب قليلاً، ولم ير مبتسماً أبداً طول الوقت الذي قضاه في هامبورج، وفي كل مملكة يزورها يتكلم لغة البلاد الأصلية"

## في ستراسبورج

وحوالي عام ١٥٨٨ ظهر اليهودي التائه في ستراسبورج كما يستدل من سجلات المدينة وعندما استجوبته السلطات عن حقيقة حاله قال أنه سبق أن مر بهذه المدينة منذ مائتي سنة، ولما فحصت سجلات المدينة ظهر أن الرجل كان صادقاً.

وقد كتب "لوفيه" أحد علماء القانون الفرنسي كتاباً عن تاريخ مدينة بوفيه الفرنسية، وقص فيه أنه رأى سنة ١٦٠٤ اليهودي التائه بقرب قصر أسقف تلك المدينة، وكان يحيط به عدد من الأطفال الصغار، ولكن وجوده لم يثر اهتماماً إذ كان الناس يتشككون في حقيقة قصته. وقد اختفى اليهودي التائه من تلك المدينة وشيكا وانتشرت إشاعات كثيرة في ذلك الزمن عن مروره بالأقاليم الفرنسية، ولما كان يصحب قدومه عواصف وأعاصير فقد قيل أن الرياح العاصفة تحمله من مكان إلى مكان.

وظهر في وستفاليا سنة ١٦١٨ كتاب آخر يقص نفس القصة مع تغييرات طفيفة ولم يشأ مؤلفه أن يعلن عن اسمه بل اكتفى باسم مستعار، وقد ظهر الخطاب الذي نقلنا بعض فقراته في طبعات شعبية رخيصة متعددة انتشرت انتشاراً كبيراً فراجت القصة على كل الألسنة، وقد ذكر

كاتبه عددا من ذوي الشخصيات الكبيرة في إنجلترا وفرنسا وايطاليا والسويد وإيران الذين شهدوا اليهودي التائه، وأكدوا صحة القصة. وقيل أنه شوهد عام ١٥٩٩ في فيينا وأنه اتجه بعد ذلك إلى السويد وروسيا وفي عام ١٦٠١ شوهد في ليوبك وحوالي عام ١٦١٣في موسكو حيث تحدث مع الكثيرين ولكنه رفض أن يتناول طعاماً.

وفي عام ١٦٤٠ أثار خبر وجوده في غابة سوان بألمانيا تأثيراً عظيماً في النفوس واعتقد الناس أنه سيطوف بكل مدن ألمانيا بعد ذلك وأخذ الطلبة الألمانيون يستعدون لرؤيته والتثبت من وجوده ولكنه لم يظهر إلا في مدينة ليبزج عام ١٦٤٢وكان يبدو في هيئة متسول أو شقي، ثم اختفى اليهودي التائه بعد ذلك ولم يظهر أي دليل على وجوده بأوروبا حتى كانت سنة ١٧٧٢، ففي مساء الثاني والعشرين من أبريل "والتاريخ مدون بدقة في كثير من السجلات" دخل اليهودي مدينة بروكسل حيث ألح عليه الناس في البقاء، ولكنه رفض واستأنف سيره واختفى في الجبال المحيطة بالمدينة، وذلك هو آخر تاريخ مدون لظهور اليهودي التائه، وفي خلال الحرب الأخيرة أخذت الإشاعات تتردد عن ظهوره من جديد.

وإذا كان اليهودي التائه قد اختفى في بعض العصور فهو لم يختف أبداً من أدمغة الشعراء والكتاب فقد كتب عنه كثير من الكتب والقصائد وألفت عنه تمثيليات شاهدها الناس على مختلف مسارح الدول الأوروبية. وقد رسم له الفنان الكبير جوستاف دوريه سلسلة صور تقارن بأعمال مشاهير الفنانين الأوربيين، وهذه الصور تعرض قصة حياته من ساعة

محاكمة المسيح حتى تنتهي الحياة على الأرض. تلك هي قصة اليهودي التائه وتاريخها فما رأيك أيها القارئ؟

إن كثيراً من المثقفين حتى في عصرنا هذا يؤمنون بصحتها ويعتقدون أن ذلك الشريد الضال يعيش الآن في ركن من أركان الدنيا تنفيذاً ما قضت به الأقدار عليه، وعلى شعبه التائه الضال الذي لن يعرف يوماً طعم الراحة والاستقرار.

## الفهرس